الأب بيير جورجو جانَتْسا

# الحياة الأبديّة (٢)

## قيامة الموتى والمطهر وجَهنَّم والسماء

**سلسلة «باب الإيمان»**

**الإيمان المسيحي**

١) «إني أومن، يا رب، ولكن زدني إيمانا» مدخل إلى قانون الإيمان
٢) الإيمانُ المسيحيّ واللامُبالاةُ الدينيّة
٣) الله أَمْ الإنسان؟
٤) كنائس الشرق الأوسط في مسيرتها نحو الوحدة
٥) لماذا لا أزالُ حتى اليوم في الكنيسة؟
٦) أومن بالحياة الأبدية (١) – الحياة. الموت. الدينونة.
٧) الحياة الأبديّة (٢) – قيامة الموتى والمطهر وجَهنَّم والسماء

منشورات مكتبة يسوع الملك
بيت ساحور

مطبعة البطريركية اللاتينية – القدس
بيت جالا – تشرين الثاني ٢٠١٧



# الفصل الأول

# قيامة الموتى

**١) ما معنى قيامة الموتى؟**

لا ينجو إنسان من الموت. كلُّنا نموت. لكن، ماذا بعد الموت؟ هل هو نهاية كلّ شيء أم بداية كلّ شيء؟ يسوع يُطَمْئِنُنا ويؤكِّد لنا أنّه كما قام هو سنقوم نحن أيضًا. ولكن ما معنى «قيامة الموتى»؟ يقول لنا الإنجيل إنّ يسوع قال للرسل الثلاثة الذين اختارهم ليشاهدوا مجده في يوم التجلّي، «أَلَّا يُخبِرُوا أَحَدًا بِمَا رَأَوْا، إِلَّا مَتَى قَامَ ابنُ الإِنسَانِ مِن بَينِ الأَموَات (...). فَأَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ مَا مَعنَى القِيَامَةِ مِن بَينِ الأَموَات» (مرقس ٩: ٩–١٠). مشهد التجلّي فتح أعينهم، ولكنّهم لم يفهموا بعد كلَّ شيء. سيفهمون بعد أن يظهر لهم يسوع بعد قيامته من الموت (راجع يوحنا ٢٠: ١٩–٢٠). «القيامة» تعني إذًا أنّ حياتنا بعد الموت ستستمرّ ولكنّها ستتبدَّل، لأنّنا سنبدأ الحياة الأبديّة. بالنسبة إلى يسوع تمَّت القيامة في زمن واحد، في الأيّام الثلاثة التي ندعوها الثلاثيّة الفصحيّة، (مساء الجمعة – يوم موته، ثم سبت الانتظار أو سبت النور، وأخيرًا أحد القيامة). أمّا بالنسبة إلينا، فستكون القيامة في مرحلتين، الأولى عند موتنا، أي نهاية

حياتنا الأرضية. والمرحلة الثانية هي ساعة الدينونة العامّة، عند مجيء المسيح الثاني، في نهاية تاريخ البشريّة.

الإنسان كائن واحد، ولكنّه مركّب من نفس وجسد. وبحسب طبيعة هذين المكوِّنين الجوهريّين تتمّ القيامة. الزمن الأوّل في القيامة هو عندما يموت الجسد، فتنفصل النفس عنه، وتستمرّ في الحياة بما أنها روح خالد. تبدأ النفس حياة جديدة ولكن منفصلة عن الجسد. نفس الإنسان تبقى في الحياة إلى أن يعود إليها الجسد، ويتمُّ اتّحاد الجسد والنفس عند قيامة الأجساد في الدينونة الأخيرة. وسيحدث هذا بقدرة الله لكلّ الناس، وفي لحظة واحدة. ستكون هذه المرحلة الثانية، النهائيّة، كما أعلن يسوع ذلك: «الحَقَّ الحَقَّ أَقُولُ لَكُم: تَأتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حَاضِرَةٌ، فِيهَا يَسمَعُ الأمواتُ صَوتَ ابنِ اللهِ وَالَّذِينَ يَسمَعُونَ يَحيَوْنَ... تَأتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسمَعُ صَوتَهُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي القُبُورِ، فَيَخرُجُونَ مِنهَا. أمَّا الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَقُومُونَ لِلحَيَاةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ فَيَقُومُونَ لِلقَضَاءِ» (يوحنا ٥: ٢٤ و٢٨-٢٩).

لم يركِّزْ يسوع كثيرًا في كرازته على خلود النفس (وهي حقيقة كان يؤمن بها بصورة عامّة جميع المستمعين إليه). ولكنَّه أكَّد بصورة خاصّة على قيامة الموتى. مرّة واحدة، وبصورة غير مباشرة، أكَّد بوضوح على خلود النفس، حيث قال إنّه لا يمكن لأحد أن يقتل النفس. قال لتلاميذه: «لَا تَخَافُوا الَّذِينَ يَقتُلُونَ



الجَسَدَ، وَلَا يَستَطِيعُونَ أَن يَقتُلُوا النَّفسَ. بَل خَافُوا الَّذِي يَقدِرُ عَلَى أَن يُهلِكَ الجَسَدَ وَالنَّفسَ جَمِيعًا فِي جَهَنَّمَ» (متى ١٠: ٢٨). نلاحظ أنّ الكلمات الأخيرة في هذه الجملة تؤكِّد على اتِّحاد الجسد والنفس في الهلاك الأبديّ في جَهنّم: هؤلاء هم الذين لم يسمعوا صوت الله وساروا بحسب أهوائهم وعملوا السيِّئات. وهذا يعني، في الحالة المناقضة، أنّ الذين ساروا في طريق الله، سيدخلون السماء أيضًا بالنفس والجسد. سيقومون مع المسيح، ومثل المسيح، وسيجلسون معه على مائدة الحمل الإلهي في ملكوت السماء (راجع متى ٨: ١١).

حقيقة القيامة جزء جوهريّ من العقيدة المسيحيّة. في آخر قانون الإيمان الذي نتلوه في القداس بصورة جماعيّة وعلنيّة، نعترف بالحقيقة التالية ونقول: «أنتظر قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي». ومع ذلك، يبدو أنّ بعض المسيحيّين، وليسوا قليلين، يشككون في هذه العقيدة، إمّا لأنّهم لا يفهمونها، وإمّا أنّه يصعب عليهم الإيمان بأن هذا الأمر ممكن، أو كيف يمكن أن يتمّ. ولكن، ليسوا الوحيدين الذين يطرحون السؤال والشكوك. ففي زمن يسوع، الصدّوقيّون أيضًا لم يكونوا يؤمنون بقيامة الموتى (راجع متى ٢٢: ٢٣، ومرقس ١٢: ١٨، ولوقا ٢٠: ٢٧). ومعظم العالم الوثنيّ إذّاك، المفكرون فيه والحكماء، لم يؤمنوا بقيامة الموتى. واجه القديس بولس هذا الواقع في خطابه لحكماء أثينا في محفل الأريوباج: «فَمَا أَن سَمِعُوا كَلِمَةَ

«قِيَامَةَ الأَمْوَاتِ حَتَّى هَزِئَ بَعْضُهُم، وَقَالَ بَعْضُهُم: سَنَسْتَمِعُ إِلَى كَلاَمِكَ عَلَى هَذَا مَرَّةً أُخرَى» (أعمال الرسل ١٧: ٣٢).

بصورة عامّة، كان الفلاسفة الوثنيّون ينكرون القيامة، ويقدِّمون لذلك براهين مختلفة. مثلًا: كيف يمكن للجسد المتعفِّن والذي صار ترابًا أن يعود ويصبح جسدًا حيًّا؟ كيف يمكن أن تتكوَّن من جديد أعضاء الجسد، بعد أن تكون افترسته الوحوش البرِّيّة أو الطيور أو الأسماك؟ (وقد يقول بعض أهل العلم اليوم: الأعضاء التي وهبها صاحبها لغيره كيف ستعود إلى الجسد الأصليّ؟). وأيضًا: إن كان الجسد سجنًا للنفس، وإن كانت المادّة في حدِّ ذاتها شرًّا ومناقضة للروح، فهو أمر لا يتمنَّاه أحد أن يعود الجسد ويتَّحد مع الروح.

**٢) يسوع ينبئ بقيامته من بين الأموات**

جاء يسوع المسيح يبشِّرنا «بالخبر السارّ»، خبر قيامته من بين الأموات. وقد تكلَّم على ذلك في كلامه على «الساعة» الأخيرة، وعلى «خروجه» من هذا العالم (راجع لوقا ٩: ٣٠) و«انتِقَالِهِ مِن هَذَا العَالَمِ إِلَى أَبِيهِ» (راجع يوحنا ١٣: ١). وقد تكلَّم على موته وقيامته معًا، وليس بصورة منفصلة. هذا واضح جدًّا في كرازته: «وَبَدَأَ يُعَلِّمُهُم أَنَّ ابنَ الإنسانِ يَجِبُ عَلَيهِ أَن يُعَانِيَ آلاَمًا شَدِيدَةً... وَأَن يُقتَلَ وَأَن يَقُومَ بَعدَ ثَلاَثَةِ أَيَّام» (مرقس ٨: ٣١). وأيضًا: «إِنَّ ابنَ الإِنسَانِ سَيُسلَمُ إِلَى أَيدِي النَّاسِ فَيَقتُلُونَهُ



وَبَعدَ قَتلِه بِثَلاَثَةِ أَيَّام يَقُومُ» (مرقس ٩: ٣١). وأيضًا: «وَيَقتُلُونَهُ، وَبَعدَ ثَلاَثَةِ أَيَّام يَقُومُ» (مرقس ١٠: ٣٤). في هذا تكمن قوّة كلمة يسوع، وقوّة الحدث الخلاصيّ الذي هزَمَ الموت إلى الأبد ومنح الحياة للجميع. الموت حقيقيّ وهو موجود، ولكنّه سيزول، لأنّ المسيح الذي هو الحياة هزَمَه (راجع رؤيا ١: ٤). بيَّن يسوع هذه الحقيقة لمّا قال لتوما، مجيبًا على سؤاله: في أيّ طريق نسير (قال توما: أَرِنَا الطَّرِيقَ وَحَسبُنَا)؟ قال له يسوع: «أَنَا الطَّرِيقُ وَالحَقُّ وَالحَيَاةُ» (يوحنا ١٤: ٦). هذه كلمات بليغة وأزليّة. القيامة هي يسوع نفسه، لأنّه هو الحياة، الحياة التي هي حياة الآب والابن والروح القدس، وحياة الناس، الحياة الأولى التي أُعطِيَت للناس، منذ خلق آدم. بيّن يسوع ذلك بوضوح في سفر الرؤياه حيث قال: «أَنَا الأَوَّلُ وَالآخِرُ، أَنَا الحَيُّ. كُنْتُ مَيْتًا وَهَاأَنَذَا حَيٌّ أَبَدَ الدُّهُورِ، بِيَدِي مَفَاتِيحُ المَوتِ وَالجَحِيم» (رؤيا ١: ١٧-١٨).

ليس الصليب والموت هما الكلمةَ الأخيرة في الحياة، ولن يكون ذلك أبدًا. الصليب هو علامة الحبّ الأسمى، حبِّ من يبذل حياته في سبيل غيره. وموت يسوع فيه ثلاث مرّات الإجابة ب«نَعَم»، «نَعَم» من الثالوث الأقدس، الذي هو الحبّ المتبادل بين الأقانيم الثلاثة. و«نَعَم» من الابن الذي هو حبّ الآب الذي يريد أن يَخلُصَ جميع الناس. و«نَعَم» الروح، لمّا أسلَم يسوع روحه إلى الآب. و«نعم» من الآب الذي بذل ابنه وحيده من أجل خلاصنا: تلك كانت القِمّة وفيها أسمى علامة

لخطّته الخلاصيّة للبشريّة. أكّد بولس بالتحديد هذا الكلام، في خطابه لأهل أثينا: «وَقَد جَعَلَ لِلنَّاسِ أَجمَعِينَ بُرهَانًا عَلَى الأمر، إذ أَقَامَهُ مِن بَينِ الأموَاتِ» (أعمال الرسل ١٧: ٣١). فالموت حبًّا هو العبور إلى النصر، وبمجد القيامة أُلغِيَ الموت إلى الأبد. غُلِبَ الموت بقدرة الله الذي أقام ابنه من بين الأموات. لهذا قال بولس الرسول: «قَدِ ابتَلَعَ الظَّفَرُ المَوتَ. فَأَينَ، يَا مَوتُ، ظَفَرُكَ؟» (١ قورنتس ١٥: ٥٤-٥٥). قيامة المسيح هي «نَعَم» من الله، مقابل رفض الإنسان الذي قال لله : لا. قيامة المسيح هي «نعم» من قدّوس الله الذي أطاع حتى الموت، ليعوِّض رفض الإنسان وعصيانه بالخطيئة. لمّا قال الإنسان لله: «لا»، قُتِل يسوع المسيح. والله، بقوله «نعم» ليسوع المسيح وللإنسان، أقام المسيح ابنه، وأقام معه الإنسان أيضًا.

**٣) بشّرنا يسوع بقيامتنا من الموت**

أعلن يسوع الخبر السارّ الثاني، خبر قيامة كلّ البشرية، في ظروف مختلفة. أوضحُ شهادةٍ على ذلك نجدها في جوابه على الصدّوقيّين، الذين كانوا يجاهرون أن ليس هناك قيامة موتى (راجع متى ٢٢: ٢٣-٣٣). بعد أن استمع يسوع إليهم، قال لهم إنّهم «لَا يَعرِفُونَ الكُتُبَ وَلَا قُدرَةَ الله» (٢٢: ٢٩). في الكتب نجد شهادة الإخوة السبعة المكابيّين الذين فضَّلوا الموت على مخالفة شريعة الله: «إِنَّكَ، أَيُّهَا المُجرِمُ تَسلِبُنَا الحَيَاةَ



الدُّنيَا، وَلَكِنَّ مَلِكَ العَالَمِ، إِذَا مُتْنَا فِي سَبِيلِ شَرِيعَتِهِ، سَيُقِيمُنَا لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (٢ مكابيين ٧: ٩). وقال الابن الرابع بدوره: «خَيرٌ أَن يَمُوتَ الإِنسَانُ بِأَيدِي النَّاسِ وَهو يَرجُو أَن يُقِيمَهُ الله» (٧: ١٤). علاوة على ذلك، كان النبي دانيال قد شهد قال: «كَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي أَرضِ التُّرَابِ يَستَيقِظُونَ، بَعضُهُم لِلحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَبَعضُهُم لِلعَارِ وَالرَّذلِ الأَبَدِيّ. وَيُضِيءُ العُقَلَاءُ كَضِيَاءِ الجَلَدِ، وَالَّذِينَ جَعَلُوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَبرَارًا، كَالكَوَاكِبِ أَبَدَ الدُّهُورِ» (دانيال ١٢: ٢-٣). وفي الواقع، الله الخالق القدير يقدر أن يعيد الحياة إلى الموتى، وهو يعيدها. ولهذا في الجدال مع الصدُّوقيِّين، أجابهم يسوع قال: «إنّ إله الآباء، إله ابراهيم وإسحق ويعقوب، ليس إله أموات بل إله أحياء» (مرقس ١٢: ٢٦). بعبارة أخرى، الله الذي أبرم عهدًا مع ابراهيم وإسحق ويعقوب، هو دائمًا أمين لوعده. فهم محبوبون من الله دائمًا، والله يمنحهم الحياة دائمًا. هم أحياء حتى بعد الموت، لأنّ الله إله أحياء. وختم يسوع كلامه بجملة قاطعة لا تدع للصدّوقيّين مجالًا للردّ: «إِنَّكُم إِذًا لَعَلَى ضَلَالٍ مُبِين» (مرقس ١٢: ٢٧).

لمّا مات لعازر صديق يسوع، قال يسوع لمرتا التي كانت تبكي مع أختها مريم، كلامًا مُطَمْئِنًا، قال لها إنّ أخاها حيّ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ» (يوحنا ١١: ٢٣). وأجابت مرتا مؤكِّدة إيمانها بقيامة الموتى الأخيرة: «أَنَا أَعلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي اليَومِ الأَخِيرِ» (يوحنا ١١: ٢٤). أجابها يسوع، وليزيدها طمأنينة، كَشف عن

هوّيّته وقدرته الإلهيّة: «أَنَا القِيَامَةُ وَالحَيَاةُ. مَن آمَنَ بِي وَإِن مَاتَ سَيَحيَا. كُلُّ مَن يَحيَا وَيُؤمِنُ بِي لا يَمُوتُ أَبَدًا» (يوحنا ١١: ٢٤-٢٦). مات لعازر، والآن، بقدرة المسيح، سيعود إلى الحياة الأرضيّة، ولكن لمدّة محدودة، لأنّه سيموت ثانية. وأمّا في الزمن الأخير فسيعود جسده ويتّحد بنفسه، وسيحيا إلى الأبد.

أوضحُ عبارة في كلام يسوع، في ما يختصّ بقيامة الموتى، نجدها في جداله مع اليهود، حيث يؤكّد أنّ عمله متّصل بعمل الله بصورة ثابتة غير قابلة للانفصال، لأنّه الابن الذي أرسله الآب. قال: «لَا يَستَطِيعُ الِابنُ أَن يَفعَلَ شَيئًا مِن عِندِهِ، بَل لَا يَفعَلُ إِلَّا مَا يَرَى الآبَ يَفعَلُهُ» (يوحنا ٥: ١٩). الآب يحكم ويدين، «وَأَولَى الِابنَ سُلطَةَ القَضَاءِ لِأَنَّهُ ابنُ الإِنسَانِ» (يوحنا ٥: ٢٧)، وسيقوم الموتى عند سماع صوته: «لَا تَعجَبُوا مِن هَذَا، سَتَأتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسمَعُ صَوتَ ابنِ اللهِ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي القُبُورِ فَيَخرُجُونَ مِنهَا. أَمَّا الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَقُومُونَ لِلحَيَاةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ فَيَقُومُونَ لِلقَضَاءِ» (٥: ٢٨-٢٩). بهذا الكلام يعلّمنا يسوع حقيقتين: الأولى القيامة عامّة. جميع الموتى يقومون، من كلّ زمان ومكان. الثانية، ستكون القيامة مختلفة بحسب الأعمال، للصالحين هي قيامة حياة وبركة، وللأشرار هي لعنة.

### ٤) القيامة في كرازة الرسل

الموضوع الرئيسي لكرازة الرسل هو قيامة المسيح،



وقيامتنا هي نتيجة لقيامته، لأنّه هو «بِكرُ مَن قَامَ مِن بَينِ الأمواتِ» (قولوسي ١: ١٨). في يوم العنصرة، بطرس المتكلّم باسم الرسل، تكلّم بجرأة، أمام جميع الحاضرين، على يسوع الناصري، مبيّنًا الخير الذي صنعه. ثم أعلن قال: «ذَاكَ الرَّجُلَ... الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ، أَقَامَهُ اللهُ وَأَنقَذَهُ مِن أَهوَالِ المَوتِ، فَمَا كَانَ لِيَبقَى رَهِينَهَا... يَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحنُ بِأَجمَعِنَا شُهُودٌ عَلَى ذَلِكَ» (أعمال الرسل ٢: ٢٣-٢٤و٣٢).

وبولس الرسول قال إنَّ أساس الإيمان هو هذه الحقيقة أنّ المسيح قام من بين الأموات. قال ذلك بوضوح في الرسالة إلى أهل قورنتس، حيث يقدّم مُلَخَّصًا شاملًا للإيمان، يقول: «بَلَّغْتُ إِلَيكُم قَبلَ كُلِّ شَيءٍ مَا تَسَلَّمْتُهُ أَنَّ المَسِيحَ مَاتَ مِن أَجلِ خَطَايَانَا، كَمَا جَاءَ فِي الكُتُبِ، وَأَنَّهُ قُبِرَ وَقَامَ فِي اليَومِ الثَّالِثِ، كَمَا جَاءَ فِي الكُتُبِ» (١ قورنتس ١٥: ٣-٤). هذا تعليم أساسيّ مرسَّخ على أساس الكتب المقدَّسة، التي تسلَّمناها، والتي يجب أن نسلِّمها للأجيال القادمة. وقال القديس بولس إنَّ هذه الحقيقة هي «البشارة» (١ قورنتس ١٥: ١) وهي قلب الإنجيل، وملخَّص الإنجيل. هذا أوّل اعتراف بالإيمان في الكنيسة الناشئة، وسوف يبقى كذلك مدى الدهور.

بهذا المعنى نفسه كتب القديس بولس إلى أهل روما أيضًا: «فَإِذَا شَهِدْتَ بِلِسَانِكَ أَنَّ يَسُوعَ رَبٌّ، وَآمَنْتَ بِجَنَانِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِن بَينِ الأَموَاتِ، نِلتَ الخَلَاصَ» (روما ١٠: ٩).

نعم، قيامة يسوع المسيح هي الأساس، هي المركز وقوّة الإيمان المسيحي. من دون القيامة إيماننا باطل. كما قال بولس الرسول أيضًا: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلأَمْوَاتِ مِن قِيَامَة، فَإِنَّ المَسِيحَ لَمْ يَقُمْ أَيضًا. وَإِن لَمْ يَكُنْ المَسِيحُ قَد قَامَ فَإِيمَانُكُم بَاطِلٌ» (١ قورنتس ١٥: ١٤). هذه هي النتيجة. بما أنَّنا نؤمن أنّ يسوع قام، يجب أن نؤمن أنّنا سنقوم نحن أيضًا. عكس ذلك، حتى في زمن بولس، كان بعض المسيحيّين يشاركون الناس معتقداتهم الشائعة و لم يكونوا يؤمنون بقيامة الموتى، ولو آمنوا بخلود النفس. كانوا يقولون إنَّ الجسد يموت ويبقى ميتًا إلى الأبد، ولم يسلِّموا بأنَّه كان من الممكن أن يقوم ويتَّحد بالنفس. ولهذا، يؤنِّبهم بولس الرسول ويدحض رأيهم ويؤكِّد حقيقة قيامة المسيح، البكر والمثال لقيامتنا. كتب إلى المسيحيّين في قورنتس: «كَيفَ يَقُولُ بَعضُكُم إِنَّهُ لَا قِيَامَةَ لِلأَموَاتِ؟ فَإِن لَم يَكُنْ لِلأَموَاتِ مِن قِيَامَة، فَإِنَّ المَسِيحَ لَم يَقُمْ أَيضًا. وَإِن لَم يَكُنْ المَسِيحُ قَد قَامَ فَتَبشِيرُنَا بَاطِلٌ وَإِيمَانُكُم بَاطِلٌ... كَلَّا، إِنَّ المَسِيحَ قَد قَامَ مِن بَينِ الأَموَاتِ وَهُوَ بِكرُ الأَموَاتِ» (١ قورنتس ١٥: ١٢–١٤ و٢٠).

هذه الحقيقة المركزيّة أنَّ «يسوع قام» هي أساس قيامتنا. يسوع رأس الجسد، ونحن أعضاؤه. ومن ثمَّ فقيامة الرأس هي الضامن لقيامة جسده الذي هو الكنيسة. أكَّد القديس بولس ذلك بوضوح في كتابته إلى أهل روما: «إِذَا كَانَ الرُّوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِن بَينِ الأَموَاتِ حَالًّا فِيكُم فَالَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ



المَسِيحَ مِن بَينِ الأَموَاتِ يُحيِي أيضًا أَجسَادَكُم الفَانِيَةَ بِرُوحِهِ الحَالِّ فِيكُم» (روما ٨: ١١). وقد كرَّر بولس مرَّات كثيرة هذا التعليم في رسائله. قال أيضًا على سبيل المثال كلامًا مشابهًا إلى أهل قورنتس: «إِنَّ المَسِيحَ قَد قَامَ مِن بَينِ الأَموَاتِ، وَهُوَ بِكرُ الأَموَاتِ. فَقَد أَتَى المَوتُ عَلَى يَدِ إِنسَانٍ، وَعَلَى يَدِ إِنسَانٍ تَكُونُ قِيَامَةُ الأَموَاتِ. وَكَمَا يَمُوتُ جَمِيعُ النَّاسِ فِي آدَمَ فَكَذَلِكَ سَيَحيَوْنَ فِي المَسِيحِ» (١ قورنتس ١٥: ٢٠–٢٢). ويجب التركيز على كلمة «الجميع». الجميع يموتون والجميع يقومون. وهذا ينطبق ليس فقط على المسيحيّين، بل على البشريّة كلِّها. قال يسوع المسيح: الجميع يقومون (راجع يوحنا ٥: ٢٨)، سواء الصالحون الذين عملوا الصالحات، أم الأشرار الذين عملوا السيِّئات وأساؤوا لأنفسهم ولغيرهم.

هنا يطرح السؤال الحاسم: بأيّة حال يقومون؟ مع المسيح أم بعيدين عن المسيح؟ معه أم عليه؟ سبق يسوع وقال لنا إنّه سيُصدِر في الدينونة الأخيرة نوعين من الحكم، الأوّل، حكمٌ مفرح وجميل، والثاني، حكم مخيف ورهيب. سيقول للذين عن يمينه: «تعالوا يا مباركي أبي» وللذين عن يساره: «اذهبوا عنّي، يا ملاعين» (متى ٢٥: ٣٤ و٤١). ولهذا يحثّ بولس الرسول المسيحيّين، ليس فقط على الإيمان بالمسيح القائم، ولكن على أن يعيشوا عيشة مَن قام من الموت، حتى يكونوا مع المسيح دائمًا في السعادة الأبديّة. وإلّا، فماذا يجدي الإيمان بالقيامة إن

لم نقدر أن نعيش منذ الآن كقائمين من الموت؟ إيماننا بالقيامة في مثل هذه الحال يكون عقيمًا، إن لم يثمر ويصنع فينا حياة جديدة، حياة «قائمين» من الموت. ولهذا نؤكّد ونذكّر دائمًا أنّ القيامة، بعد إعادة الحياة للجسد واتّحاده بالنفس عند مجيء يسوع النهائيّ، يمكن أن تتمَّ على حالتين، كما يعلن يسوع ذلك: «الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَقُومُونَ لِلحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ يَقُومُونَ لِلقَضَاءِ» (يوحنا ٥: ٢٩).

ولهذا كرَّر بولس الرسول مرَّات كثيرة للمسيحيّين: حياتنا هي موت مع المسيح وقيامة معه للحياة، هكذا يجب أن تكون، ولن يعود الموت أبدًا. وحثَّ أهل قولوسي بهذه الأفكار والتنبيهات السامية: «فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ المَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ المَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ المَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى ظَهَرَ المَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تَظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي المَجْدِ. فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، وَالنَّجَاسَةَ، وَالهَوَى، وَالشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، وَالطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، وَالأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ المَعْصِيَةِ» (قولوسي ٣: ١-٦).

إن اجتهدنا أن نعيش مع المسيح مثل قائمين من الموت، نبدأ أن نموت منذ الآن، كما يقول بولس الرسول مرارًا. هذا يعني أنّ قيامتنا تبدأ في هذا العالم، ثم تكتمل وتصبح دائمة



في السعادة الأبديّة. كتب بولس الرسول إلى أهل قولوسي: «ذَلِكَ أَنَّكُم دُفِنْتُم مَعَهُ فِي المَعْمُودِيَّةِ، وَأُقِمْتُمْ مَعَه أَيْضًا لأَنَّكُم آمَنْتُم بِقُدرَةِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (قولوسي ٢: ١٢). وأكّد الحقيقة نفسها في رسالته إلى أهل أفسس: «اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، ٥وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالخَطَايَا، أَحْيَانَا مَعَ المَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ ٦وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ» (أفسس ٢: ٤-٦). فالحرف «مَع» مضافًا إلى الأفعال المتتالية، في أسلوب بولس الرسول، يبيِّن خصوصيّة الحياة المسيحيّة. هي حياة هنا على الأرض، ولكنَّها منذ الآن مشاركة في حياة المسيح القائم، وهذه علامة وعربون لما ستكون حياتنا بعد القيامة. كذلك عبَّر يوحنا الحبيب عن الفكرة نفسها، بل وضَّح بصورة أشدّ وضع القائمين الجديد في الحاضر، فيقول: «١٤نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ المَوْتِ إِلَى الحَيَاةِ، لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي المَوْتِ» (١ يوحنا ٣: ١٤).

### ٥) كيف نكون في القيامة؟

من الطبيعيّ أن يسأل المؤمنون، بصورة عفويّة، كيف تكون حالنا بعد القيامة؟ يسوع يزيل الإبهام عن الوضع في المستقبل، ثلاث مرّات على الأقلّ: أوَّلًا، لمّا أجاب على الصدّوقيّين الذين كانوا ينكرون القيامة. وثانيًا، في حادثة

التجلّي أمام التلاميذ الثلاثة، بطرس ويعقوب ويوحنا. وثالثًا، وخصوصًا، بظهوراته المجيدة بعد قيامته من بين الأموات.

أراد الصدوقيّون أن يجرّبوا يسوع بسؤال غريب: ما مصير زوجة كان لها على الأرض سبعة أزواج؟ لمن تكون في الآخرة؟ أجابهم يسوع: «أَبْنَاءُ هذَا الدَّهْرِ يُزَوِّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِيَكُونَ لَهُم نَصِيبٌ فِي الآخِرَةِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ، إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضًا، لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ، لِكَونِهِم أَبْنَاءَ الْقِيَامَةِ» (لوقا ٢٠: ٣٥-٣٦). ماذا تعني العبارة «مثل الملائكة»؟ المعنى الأوضح هو أنّه لا وجود للزواج والإنجاب في السماء. الحياة في السماء ليست مثل حياة الأرض، بل تفوقها. في السماء يتمُّ العرس الروحي، أي اتّحاد جميع شعوب الأرض في الله، في ما يرمز إليه الكتاب بعبارة «عرس الحمل» «وعروسه» الكنيسة. كشف لنا سفر الرؤيا عن هذا الرمز والواقع الروحيّ بقوله: «لأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ حَانَ، وَعَرُوسُه قَد تَزَيَّنَت» (رؤيا ١٩: ٧). ثمّ إن التشبيه بالملائكة يعني أوجهًا أخرى من حياة الروح في الشخص بكامله، وفي جسده الذي يتبدَّل، فيصبح خالدًا، غير خاضع للفساد، لطيفًا، بهيًّا...

في حادثة التجلّي، أظهر يسوع لتلاميذه الثلاثة المختارين مثل مقدّمة لمجد القيامة. هو يسوع نفسه، ولكنّه ظهر لهم في حالته المجيدة: «تغيَّر منظر وجهه» (لوقا ٩: ٢٩). ركّز



الإنجيليّون على اندهاش التلاميذ لمّا رأوا النور والبهاء المحيطين به، ولكنّهم وصفوا أيضًا «السحابة التي ظلّلتهم» (لوقا ٩: ٣٤). كلُّ شيء كان جميلًا وبهيجًا، إلى حدّ أن اندفع بطرس وهتف: «يا ربّ، حسنٌ لنا أن نكون ههنا» (لوقا ٩: ٣٣). ولكن داخَلَهم الخوف أيضًا لمّا دخلوا في السحابة (راجع لوقا ٩ :٣٤). ولم يقدروا إذّاك أن يفهموا فهمًا كاملًا المجد الذي رأوه في جسد يسوع. ولهذا أوصاهم يسوع نفسه «أَنْ لاَ يُحَدِّثُوا أَحَدًا بِمَا أَبْصَرُوا، إِلاَّ مَتَى قَامَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (مرقس ٩: ٩). ولن يفهموا كلّ ما حدث لهم آنذاك إلّا عندما سيرون يسوع قائمًا ممجَّدًا من بين الأموات. سيفهمون إذّاك ما معنى جسد يسوع الممجَّد.

في الظهورات يوم القيامة وبعدها، يسوع القائم هو هو نفسه دائمًا، ولكن في حالة ممجَّدة. بدا مرّة أنّه البستانيّ (راجع يوحنا ٢٠: ١١-١٨) أو صيَّاد (راجع يوحنا ٢١: ١-٤) أو مسافر (راجع لوقا ٢٤: ١-٣٥)، أو حتى خيال (راجع لوقا ٢٤: ٣٧). ولكنّه يُعرَف بنظر الإيمان، ولا سيّما بعد تفسير الكتاب المقدّس (راجع لوقا ٢٤: ٣٢)، وعند كسر الخبز (راجع لوقا ٢٤: ٣٠-٣١ و٣٥)، وعندما نسمعه ينادي الشخص باسمه، كما نادى مريم (راجع يوحنا ٢٠: ١٦). جسده تبدَّل وأصبح مجيدًا. يظهر ويغيب، وهو سرّيّ لطيفٌ نفّاذ. ويحمل سمات الجروحات (جروحات المسامير) ولكنّه ممجَّد. هو هو نفسه، الجسد الأرضيّ، وفي الوقت نفسه

مختلف، لأنّه من الآن فصاعدًا، جسد روحيٌّ خالد.

اضطُرَّ بولس أيضًا إلى الجواب على سؤال أهل قورنتس: كيف يقوم الموتى؟ بأيّ جسد يقومون؟ (١ قورنتس ١٥: ٣٥). قدَّم لهم بعض الإيضاحات الإضافيّة، المنسجمة مع ما ورد في الإنجيل. واستخدم الصور والظواهر الأرضيّة. مثلًا، الزرع الذي يموت ثم تعود إليه الحياة، والاختلاف بين مختلف أنواع الأجسام الأرضيّة والسماويّة. بناء على الوقائع الأرضيّة، حاول أن يرفع الذهن إلى الحقائق السماويّة، ولو أحاطت بها «سحابة» سرّيّة، لأنّ ملء النور سيكون فقط في السماء. وبعبارة موجزة، أكّد أنّ الجسد إذا مات سوف يكون على مثال جسد المسيح الممجَّد، أي السماويّ غيرَ قابل الفساد والخالد (راجع ١ قورنتس ١٥: ٣٥-٥٤). وصف بولس ذلك في هذه العبارات التي تشبه هتافات الانتصار: «في لَحْظَةٍ في طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ، سَيَقُومُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ مِن أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ الفَسَادِ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ المَوْتِ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ الفَسَادِ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ المَوْتِ، فَحِينَئِذٍ تَتِمُّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ فِي الغَلَبَةِ» (١ قورنتس ١٥: ٥٢-٥٤). وبعبارة أدقّ، اللفظة «نتغيّر» تعني أنّنا نصير أشباه المسيح، الإنسان الإله، كما أكّد ذلك بولس نفسه في مكان آخر: «وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ» (١ قورنتس ١٥: ٤٩) الذي هو المسيح. هذه



هي حقًّا خطَّة الله الخلاصية: «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ» (روما ٨: ٢٩).

هذه هي نواة التعليم المسيحيّ عن القيامة: سنكون شبيهين بالإنسان السماويّ، سنكون شبيهين بصورة يسوع. ونعود إلى المعنى الأساسيّ في طبيعة الإنسان، أي شَبَهُ الإنسان بالله، المطبوع فينا منذ خلق الإنسان الأوّل، لمّا قال الله: «لِنَصنَعْ الإنسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَمِثَالِنَا» (تكوين ١: ٢٦). الشَّبَه يعني أنّنا نحمل الصورة نفسها، الصورة القريبة من المثال. لهذا قال القديس بولس في مكان آخر في مفهوم الشَّبَه: «أَمَّا نَحنُ فَمَوطِنُنَا فِي السَّمَاءِ، وَمِنهَا نَنتَظِرُ مَجِيءَ المُخَلِّصِ يَسُوعَ المَسِيحِ الَّذِي يُبَدِّلُ جَسَدَنَا الحَقِيرَ، فَيَجعَلُهُ عَلَى صُورَةِ جَسَدِهِ المَجِيدِ، بِمَا لَهُ مِن قُدرَةٍ يُخضِعُ بِهَا كُلَّ شَيءٍ» (فيليبي ٣: ٢٠-٢١).

كلُّ هذا يعني كما لو قال القديس بولس لمسيحيّي قورنتس وقولوسي وفيليبي، ومن ثمَّ لنا أيضًا اليوم، إنَّ العلم الحقيقيّ لما بعد هذه الحياة ليس معرفة أمر فضوليّ، كيف تكون القيامة والحياة بعدها، ولكن علم القيامة يقوم بجهد مثابر للتشبُّه بالمسيح منذ اليوم وهنا، لنكون في شركة معه، في ساعة موتنا وبعدها إلى الأبد. فالأمر الوحيد الضروريّ هو أن «نَكُونَ دَائِمًا أَبَدًا مَعَ المَسِيحِ» (١ تسالونيقي ٤: ١٧).

**٦) تعليم الكنيسة**

تعليم الكنيسة كان دائمًا ثابتًا وحازمًا في هذا الموضوع. فهو جزء أساسيّ من العقيدة المسيحيّة. آمنت الكنيسة دائمًا أنّ قيامة الجسد هي عقيدة إيمان، وتفهم بلفظة «الجسد» كمال المادَّة البشريّة أو العنصر الأرضيّ المتَّحد بالنفس (العنصر الروحيّ)، بصورة غير قابلة الانحلال. ففي القيامة لا توجد فقط حياة النفس الخالدة بل أيضًا حياة الجسد الذي يقوم ويصير خالدًا. تعترف الكنيسة بهذه الحقيقة في قانون الإيمان. أكَّد آباء الكنيسة وكلّ التقليد المسيحيّ هذه العقيدة ودافعوا عنها دائمًا، وقاوموا كلّ الاعتراضات، ودحضوا كلّ الهرطقات التي كانت تنكرها، ووضّحوا كلّ سوء فهم كان ينجم عنها. كتب القديس أغسطينس في القرن الخامس: «لا تلقى الكنيسة اعتراضات مثل ما تلقاه في موضوع قيامة الجسد» (في تفسير المزامير، ٨٨: ٢،٥). وقاومت الكنيسة دائمًا بصورة خاصّة كلّ التيّارات الروحانيّة المندِّدة بحقيقة أو صلاح الجسد، مثل أفكار الغنوصيّين والمانويّين والكاثاريّين، الذين كانوا يقولون إنَّ المادّة نجسة، ومن ثمّ لا تستحقّ القيامة والسماء. في نظرهم، كان الحلّ الوحيد هو دمار المادّة النهائيّ، أو تناسخ الأرواح واستمرار تطهيرها في التجسُّدات المتتالية.

من جهة أخرى، قاومت العقيدة المسيحيّة دائمًا التيّارات الفلسفيّة المادّيّة أو العلمانيّة أو المعتمدة على العقل فقط، دون



الوحي (العقلانيّة)، والتي تنكر خلود النفس وقيامة الجسد. في الواقع، تلغي العلمانيّة والعقلانيّة معنى السرّ وكلّ وحي من خارج الأرض، ومن ثمّ كلّ رجوع إلى ما بعد الأرض. في نظر هؤلاء، بعد الموت لا يوجد شيء، أو يقولون: لا نقدر أن نعرف شيئًا عن الإنسان بعد الوت. في فكرهم، استمراريّة الإنسان لا تقوم ببقاء الفرد ذي النفس الخالدة، ولكن في الإنسانيّة نفسها الباقية عبر الدهور والأجيال. كذلك المسيحانيّة الزمنيّة (مثل الماركسيّة)، فإنّها تؤكِّد أنّ الخلاص هو التحرُّر الاقتصاديّ والسياسيّ في هذه الأرض، وتنكر كلّ نوع خلاص خارج هذا العالم.

في الختام، وفي الملخّص، يجيب «تعليم الكنيسة الكاثوليكية» على السؤال: ما معنى القيامة؟ بما يلي: «بالموت، أي بانفصال الجسد عن النفس، يبلى جسد الإنسان ويفنى، بينما تذهب النفس إلى الله وتبقى في حالة انتظار، ريثما تتَّحد بالجسد الممجَّد. سيعيد الله، بقدرته الكلّيّة، بصورة نهائيّة، الحياة غير قابلة الفساد لأجسادنا باتّحادها مع النفس، بقوّة قيامة المسيح» (رقم ٩٩٧). وعلى السؤال: كيف؟ يجيب: «يسوع قام بجسده نفسه: «انظُرُوا يَدَيَّ وَرِجلَيَّ، أَنَا هُوَ» (لوقا ٢٤: ٣٩)، ولكنَّه لم يعد إلى حياة أرضيّة. بالطريقة نفسها، «يقوم الجميع بالجسد الذي لهم الآن»، ولكن يتبدَّل الجسد ويصبح مجيدًا، جسدًا روحيًّا (١ قورنتس ١٥: ٤٤) (رقم ٩٩٩).

**٧) الليتورجيا تعلّمنا وترشدنا**

ليتورجيا الأموات، برموزها ودلالاتها الكثيرة، تعلّمنا وتذكّرنا بإيمان المسيحيّين بقيامة الجسد. تضاء الشمعة الفصحيّة إلى جانب النعش، ترمز إلى نور المسيح القائم: فهو حاضر ونوره ينير كلّ الكنيسة، ويملأ القلوب برجاء الحياة الأبديّة، وبنوره يتحوّل الفساد إلى لافساد، والموت إلى خلود. ثم يُبخَّر النعش، لأنّ الجسد هو هيكل الروح، ومصيره القيامة. ويُنضَح بالماء المبارك ذكرى لمعموديّة الماء المحيي بقوّة المسيح، والذي يصبح في المعمَّد «يَنبُوعَ مَاءٍ يَتَفَجَّرُ حَيَاةً أَبَدِيّة» (يوحنا ٤: ١٤). من حيث الدفن، من المفضَّل أن يُدفَن الجسد في الأرض. هذا أفضل من طرق أخرى أخذت تنتشر في بعض البلدان، مثل إحراق الجسد، مع أنّ الكنيسة تسمح به، على ألّا يُمارَس بناء على عقيدة أنّ الجسد يفنى إلى الأبد، مناقَضةً لعقيدة القيامة المسيحيّة. توضع الجثّة في القبر على أمل انتظار القيامة عند مجيء المسيح النهائيّ. ثم يُزار الموتى في المقبرة، ويُصلَّى من أجلهم، لأنّنا نعلم أنّ النفس حيّة عند الله، وأنّها ستتّحد يوما بالجسد.



## الفصل الثاني

# المطهر

**١) هل لهذا الموضوع أهميّة؟**

لماذا الكلام على المطهر؟ في نظر بعض المسيحيّين ليس من الضروريّ الكلام على المطهر، إمّا لأنّه موضوع غير متّفَق عليه بين الكنائس المسيحيّة، وإمّا لأنّه يبدو أنّ الكتاب المقدّس لا يتضمّن مثل هذا التعليم. في الواقع، تقول الكنائس البروتستانتيّة إنّه لا يوجد في كلّ الكتاب المقدّس إشارة واضحة إلى المطهر. وتقول الكنائس الأورثوذكسيّة إنّه لا يوجد بعد الموت مكان ثالث أو حالة ثالثة، ما عدا السماء وجَهنّم. وبكلمة موجزة، يقول كلاهما إنّ المطهر بدعة في الكنيسة الكاثوليكيّة.

ولكن، إذا بدأنا الحوار حول هذا الموضوع، بصفاء ذهن وهدوء، ومن دون أفكار مسبقة، تبيَّن لنا أنّ المواقف المختلفة ليست بعيدة بعضها عن بعض، بل تتّفق نوعًا ما، ولو كانت الألفاظ التي يشار بها إلى هذه الحقيقة مختلفة. لا تُستخدَم لفظة المطهر، إلا أنّ هناك ممارسات مشتركة في ما يختص بالموتى. أهمُّها وهي مشتركة بين كلّ المسيحيين، أنّ في الكنائس كلِّها يُصَلَّى من أجل الموتى، ويُطلَب إلى الله أن

يطهِّرهم من خطاياهم، وأن يدخلهم ملكوته الأبديّ. ماذا يعني وماذا يشمل هذا الواقع؟ منطقيًّا، صلاة الكنيسة لا فائدة لها إن كان الميت في السماء، ولا فاعليّة لها إن كان لا سمح الله في جَهنَّم. لأنّ كلَيْهما حالة نهائيّة لا تتبدَّل. ومن ثمَّ فالصلاة من أجلهم لا تغيِّر شيئًا. ولا أحد يعلم مصيرهم بكلّ تأكيد. ومع ذلك فالكنيسة تستمرّ في صلاتها من أجل الموتى وتطلب إلى الله أن يرحمهم ويغفر لهم خطاياهم ويطهِّرهم ويقدِّسهم ليدخلوا السماء. يُفهَم من هذا أنَّه من المناسب الكلام على المطهر، على اعتباره حالة وسَطًا، عابرة، تطهِّر الموتى بصورة نهائيّة قبل الدخول النهائيّ إلى السماء. فالكنيسة تساعدهم بصلاتها، وكلّ واحد منّا أيضًا. والأحياء يصبحون أقوى في إيمانهم بصلاتهم وشركتهم مع من سبقهم إلى الحياة الأبديّة. ويحاولون هم أنفسهم أن يتطهَّروا في هذه الحياة الأرضيّة، بقدر ما يستطيعون، ليتجنّبوا أو ليقلِّلوا من مدّة المطهر وعقابه، وليبلغوا رؤية لله الدائمة في السماء. ومن الجدير أن نلاحظ أنّ القديسين في الكنيسة الكاثوليكية تكلَّموا على المطهر، وأنّ بعض المتصوِّفين أيضًا رأوا رؤى تتَّصل بهذا الواقع.

**٢) أسس المطهر**

يسوع لم يتكلَّم قط على المطهر. في تعاليمه ووصاياه تكلَّم فقط على نوعين من الحياة يعيشهما الإنسان على



الأرض، سمّاهما «الباب الواسع والباب الضيّق». الأوّل يبدو سهلًا ومغريًا، ولكنّه يُبعِد عن الله. والثاني صعب وفيه تضحية، ولكنّه يقرِّب من الله. من دخل أحد هذين البابين يصل إلى أحد المصيرين المتناقضين في الآخرة: الهلاك، أو الخلاص. ولهذا يحثُّنا يسوع على السير في الاتّجاه الصحيح، وأن نصحِّح أنفسنا إن ضَلَلْنا الطريق. يقول: «اُدْخُلُوا مِنَ الْبَاب الضَّيِّق، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَصْعَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ» (متى ٧: ١٣-١٤). وفي الدينونة الأخيرة، يفصل الديّان الإلهيّ بين الناس، ويجعلهم فئتَيْن، فئة المخلَّصين المباركين، وفئة الهالكين الملاعين.

تؤكِّد الكنيسة الكاثوليكيّة بحقّ أنّ المطهر هو حالة وَسَط، غير دائمة، بين الموت والدينونة العامّة، وكأنَّها مدخل إلى السماء أو مكان انتظار وتطهير. وهي حالة تنتهي، ولن يبقى سوى السماء وجَهَنَّم. من الجدير بالذكر أنّ المطهر، وكذلك أيضًا السماء وجَهنَّم، يجب ألَّا نتصوَّرها كمكان، أعني كما لو أنّ السماء هي في الأعلى وجَهنَّم في أسفل الأرض، والمطهر بينهما. جَهنَّم هي حالة الهلاك (البعد عن الله) والمطهر حالة تطهير ورغبة في السماء، وكأنّها درج يؤدّي إلى السماء وإلى الله.

عقيدة المطهر مبنيّة على حقيقة أساسيّة يعبَّر عنها بطريقة إيجابيّة أو سلبيّة. الطريقة الإيجابيّة هي عندما نقول إنّ الكاملين فقط هم القدِّيسون، ويقدرون أن يدخلوا السماء. والطريقة السلبيّة هي عندما نقول إنَّ لا شيء غير طاهر يدخل السماء. وهذا ما يؤكّده الكتاب المقدّس بوضوح، في سفر الرؤيا، عندما تكلَّم على «المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ، أُورَشَلِيم، النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ مِن عِندِ الله، سَاطِعَةً بِمَجدِ لله» (رؤيا ٢١: ١٠). يقول يوحنا في رؤياه، بعد أن وصف بهاء السماء وجمالها: «وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ وَلاَ مَا يَصْنَعُ رَجسًا وَكَذِبًا، إِلاَّ الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْحَمَلِ» (رؤيا ٢١: ٢٧). سيدخلها فقط «الَّذِينَ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوها فِي دَمِ الْحَمَلِ» (رؤيا ٧: ١٤). ثم يقول: «طُوبَى لِلَّذِينَ غَسَلُوا ثِيَابَهُم لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ» (رؤيا ٢٢: ١٤). الطوباويّون في السماء الذين يحتفلون بعرس الحمل وعروسه الكنيسة ينشدون: «٧لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ! لأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ، وَعَرُوسُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا. ٨وَأُعْطِيَتْ أَنْ تَلْبَسَ الكَتَّانَ الأَبيَضَ النَّاصِعَ، وَالكَتَّانُ هُوَ الأَعمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي عَمِلَها الْقِدِّيسُونَ» (رؤيا ١٩: ٧-٨). إذًا، القدِّيسون فقط والطاهرون بصورة كاملة، يدخلون السماء. ومن يقدر أن يقول إنَّه بلغ في نهاية حياته قداسة لا شائبة فيها ولا عيب؟

يسوع يعلن هذه الحقيقة نفسها عندما يقول: «طُوبَى



لِأَطهَارِ القُلُوبِ لِأَنَّهُم يُشَاهِدُونَ الله» (متى ٥: ٨). ورؤية الله «وَجهًا لِوَجهٍ» ستكون فقط في السماء (١ قورنتس ١٣: ١٢). وهنا يعود السؤال: من سيكون قلبه طاهرًا بصورة كاملة في نهاية حياته، ومن سيكون حبُّه كاملًا فيدخل السماء فورًا. النتيجة هي إذًا: إن كانت الطهارة الكاملة لم تكتمل على الأرض، فإنّ الله يمنح الإنسان طريقة أخرى للتنقية التدريجيّة في ما تسمّيه الكنيسة الكاثوليكيّة بالمطهر.

### ٣) الصلاة من أجل الموتى

إنّ التقليد المسيحيَّ كلَّه، صلَّى، منذ البداية من أجل الموتى، سواء في الليتورجيا العامّة، أم في الصلاة الفرديّة، أم في صلوات التقوى الشعبيّة. هذا يدلّ من جهة على هذه الحقيقة، أنّ هناك رباطًا مستمرّا بين الأحياء ونفوس الموتى، بين الكنيسة المهاجرة على الأرض والكنيسة التي انتقلت إلى الحياة الأبديّة. ومن جهة أخرى، يدلُّ أيضًا على قناعة أنّه يوجد تفاعل وتبادل خيرات بين بعضنا البعض، بطريقة يعرفها الله وحده، والله وحده يحقِّقها. نحن على الأرض نبتهل إلى الله ليمنح عونه لنفوس الموتى، وليخفِّف عنهم إن كانوا في حاجة إلى ذلك (بما أنَّنا لا نعرف بالتأكيد مصيرهم الأبديّ). وهم، في الحالة التي هم فيها، يشفعون بنا عند الله، حتى يأتي إلى عون ضعفا، ويساعدنا في شدائد الحياة، للبقاء في الأمانة للإنجيل.

هذه الحقائق يؤكّدها الكتاب المقدّس، بناء على جواب يسوع للصدّوقيّين كما ذكرنا سابقًا: «إنّ إلَهَ ابرَاهِيم وإسحَق وَيعقُوب لَيسَ إلَهَ أموَات بَل إلَهُ أحيَاء» (مرقس ١٢: ٢٦).

المقطع التقليدي الذي يذكر الصلاة من أجل الموتى يوجد في سفر المكابيّين الثاني (راجع ٢ مكابيين ٣٨-٤٥)، يجب قراءة المقطع كلّه في الكتاب المقدّس لأنَّ فيه تفاصيل وتعاليم كثيرة. ويوحي بفكرة التطهير والمغفرة الإلهيّة حتى بعد الموت. كان يهوذا المكابيّ يقود الجيش لمقاتلة جورجياس. وسقط قتلى كثيرون من الجهتين. ونقرأ أنّه لمّا جاء يوم السبت: «تَطَهَّرُوا بِحَسَبِ العَادَةِ وَقَضَوْا السَّبْتَ هُنَاكَ. وَفي الغَد جَاءَ يَهُوذَا وَمَن مَعَهُ عَلَى مَا تَقتَضِيهِ السُّنَّةُ لِيَحمِلُوا جُثَثَ القَتلَى وَيَدفنُوهُم مَع ذَوِي قَرَابَتِهِم في مَقَابِرِ آبَائِهِمْ، فَوَجَدُوا تَحتَ ثِيَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ القَتلَى أنوَاطًا مِن أصنَامِ يَمْنِيَا مِمَّا تَحرِمُهُ الشَّرِيعَةُ عَلَى اليَهُودِ. فَتَبَيَّنَ لِلجَمِيعِ أنَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبَ قَتلِهِم. فَسَبّحُوا كُلُّهُم الرَّبَّ الدَّيَّانَ العَادِلَ الَّذي يَكشِفُ الخَفَايَا. ثُمَ انثَنَوْا يُصَلُّونَ وَيَتَهلُونَ أن تُمحَى تِلكَ الخَطِيئَةُ المُجتَرَحَةُ كُلَّ المَحْوِ، وَكَانَ يَهُوذَا النَّبِيلُ يَعِظُ القَومَ أن يُنَزِّهُوا أنفُسَهُم عَنِ الخَطِيئَةِ إذ رَأَوْا بِعُيُونِهِم مَا أصَابَ الَّذِينَ سَقَطُوا لِأجلِ الخَطِيئَةِ. ثُمَّ جَمَعَ مِن كُلِّ وَاحِدٍ تَقدِمَةً فَبَلَغَ المَجمُوعُ أَلفَيْ دِرهِم مِن الفِضَّة. فَأرسَلَهَا إلَى أورَشَلِيم لِيُقَدِّمَ بِهَا ذَبِيحَةً عَنِ الخَطِيئَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ مِن أحسَنِ الصَّنِيعِ وَأَتْقَاهُ لِاعتِقَادِهِ قِيَامَةَ المَوتَى، لأنَّهُ لَو لَم يَكُنْ مُتَرَجِّيًا



قِيَامَةَ الَّذِينَ سَقَطُوا لَكَانَتْ صَلَاتُهُ مِن أجلِ المَوتَى بَاطِلًا وَعَبَثًا وَلِاعتِبَارِهِ أنَّ الَّذِينَ رَقَدُوا بِالتَّقوَى قَد ادُّخِرَ لَهُم ثَوَابٌ جَمِيلٌ، وَهُوَ رَأْيٌ مُقَدَّسٌ تَقوِيٌّ وَلِهَذَا قَدَّمَ الكَفَّارَةَ عَنِ المَوتَى لِيُحَلُّوا مِنَ الخَطِيئَةِ» (٢ مكابيين ١٢: ٣٨-٤٥).

في هذا المقطع من الكتاب المقدّس تبرز بعض الحقائق: أوَّلًا، ممارسة تقويّة وهي التقادم من أجل الموتى، أي الصلاة والذبيحة. ثانيًا، الهدف من الذبيحة المقدَّمة «عن الخطيئة» هو الطلب إلى الله أن يحلَّ الموتى من خطيئتهم، وأخيرًا الإيمان بالقيامة. من جهة أخرى، من الواضح أنّ الكاتب الملهم لا يروي الحادثة فقط، بل يؤيّدها ويمتدحها، ويدعو بصورة غير مباشرة إلى اتّباعها.

أمّا تقليد الكنيسة، فمنذ القرون الأولى توجد أحداث وروايات تشهد أنَّ المسيحيّين يؤمنون بأنّه توجد شركة روحيّة بين المؤمنين على الأرض وبين المؤمنين الراقدين، بناء على قيامة المسيح. يؤكّد ذلك بعض الكتابات على القبور، في ديناميس روما وفي غيرها. يذكر المؤرّخون «كتابة أبيرشيو» (epitaffio di Abercio) التي تعود إلى عام ١٩٠. وهو أسقف هيرابولس (Hierapolis) في سوريا. كتب هو نفسه الكتابة الموضوعة على قبره. بعد الاعتراف بالإيمان بالمسيح، ختمها في النهاية قال: «كلّ واحد يتّفق مع إيماني هذا ويفهمه، ليُصَلِّ من أجل أبيرشيو». والدة القديس أغسطينس، مونِكا، لمّا شعرت بقرب

أجَلها، أوصت ابنيها اللذين كانا معها: «أن يذكراها على مذبح الرّب». ويؤكّد أغسطينس: «إنِّي قرَّبت ذبيحة فدائنا من أجل والدتي» (كتاب الاعترافات، الكتاب ٩، ١١–١٢). تاريخ الكنيسة في القرون الأولى، يذكر أيضًا ظهورات لأموات في الحلم يطلبون من ذويهم أو أصدقائهم أن يصلُّوا من أجلهم، حتّى ينتقلوا إلى «مكان الأبرار». وأيًّا كان واقع الأحلام، إنّما يدلّ على تقليد ومعتقد قائم. ومنذ منتصف القرن السادس عشر بدأت الكنيسة تحتفل بذكرى جميع الموتى المؤمنين في يوم ٢ تشرين الثاني/نوفمبر.

**٤–آيات من الكتاب المقدس تشير إلى عقيدة المطهر**

في العهد الجديد، يستند تقليد الكنيسة الكاثوليكيّة بصورة خاصّة إلى آباء الكنيسة. في الكتاب المقدس يُذكَر مرجعان يؤيِّدان هذا التقليد. الأوّل، آية قالها يسوع نفسه، والثاني، آيات من القديس بولس.

يسوع، أمام عدم إيمان اليهود بالآيات التي صنعها، ولمَّا نسبوا طرد الشياطين إلى «بعل زبول رئيس الشياطين» (متى ١٢: ٢٤)، ردَّ اتِّهامهم وبيَّن خبث أفكارهم. ثم أضاف هذه الجملة الرهيبة عن التجديف على الروح: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ خَطِيئَةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ. وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا



مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي» (متى ١٢: ٣١–٣٢). من هذه العبارة (لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي)، استنتج كثير من آباء الكنيسة (منذ زمن أغسطينس وما بعده) أنَّ بعض الخطايا تُغفَر أيضًا في العالم الآتي. ولا بدّ من المقارنة بين هذه الآية وبين عبارة وردت في رسالة القديس يوحنا الأولى حيث ذكر «الخطيئة التي ليست للموت»: «إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيئَةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تُوجَدُ خَطِيئَةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لأَجْلِ هذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ. كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيئَةٌ، وَتُوجَدُ خَطِيئَةٌ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ» (١ يوحنا ٥: ١٦). بالمعنى نفسه، يميّز التقليد الكاثوليكيّ بين الخطايا العرضيّة (التي ليست للموت) والخطايا الجسيمة أو المميتة. والمطهر هو الحالة حيث تُغفَر الخطيئة التي ليست للموت، أو الخطيئة العرضيّة، أو بقيّة من الخطيئة في من يموت وهو في حال النعمة مع الله.

وهناك آباء كنيسة وكتّاب مختلفون يستشهدون بآيات في رسائل القديس بولس ليؤكِّدوا وجود المطهر. شبَّه بولس الرسول الحياة الحاضرة وحياة كلٍّ واحد منّا ببناء يُشيَّد لله. وتُستَخدَم في البناء موادّ مختلفة مناسبة، فيما يرتفع البناء كلُّه على أساس متين: «حَسَبَ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا، وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ

الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدُ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً، خَشَبًا، عُشْبًا، قَشًّا، فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ سَيُعْلَنُ، وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. فَمَنِ بَقِيَ بِنَاؤُهُ نَالَ أُجْرَهُ. وَمَنِ احْتَرَقَ عَمَلُهُ كَانَ مِنَ الخَاسِرِينَ، غَيرَ أَنَّهُ سَيَخْلُصُ، كَمَنْ يَخلُصُ مِن خِلَالِ النَّارِ» (١ قورنتس ٣: ١٠-١٥).

في هذا النصّ معانٍ كثيرة. الكلام فيه هو حكمٌ على أعمال مختلف المبشِّرين بالإنجيل. إنّما يمكن أن نفسّره أيضًا بصورة أعمّ تتجاوز المعنى الأصلي. فيُطبَّق على جميع المسيحيّين وأعمالهم. وقد رأى فيه بعض اللاهوتيّين إشارةً إلى ما سيُسمَّى بالمطهر، ولا سيَّما في لفظة «النار» التي أوردها القدّيس بولس. النار في نظر القديس بولس هي نار المحنة. ولكن فسَّرَها القديس أغسطينس ومن جاء بعده، كأنّها النار المنقِّيَة في داخل النفس. متي تأتي هذه النار؟ «الْيَوْمُ سَيُبَيِّنُ» ذلك، أي يوم الدينونة. والكلمات «كُلِّ وَاحِدٍ»، و«عَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ»، تحملنا بصورة طبيعيّة على تطبيق هذا النصّ على كلّ مسيحي وعلى أعماله. والصورة المتضمَّنة في لفظة «النار» تحمل على اعتبار الخروج من المحنة وكأنّه عقاب، ولكنّه غير نهائيّ ولا مميت. في الواقع، بعد التطهير اللازم الذي يتمّ من خلال النار سيكون الخلاص. يقول النصّ: «كَمَنْ يَخلُصُ مِن خِلَالِ النَّارِ» (١ قورنتس ٣: ١٥). فالنار إذًا عقاب مطهِّر،



يقبله المؤمن بحبّ ويؤدّي إلى الحبّ الكلّيّ، ومن ثمَّ إلى فرح خلاص الله، الذي سيقول يومًا: «ادخُلْ إِلَى فَرَحِ رَبِّكَ» (متى ٢٥: ٢١).

بعض آباء الكنيسة، ولاهوتيّون كثيرون، من بعدهم، يستشهدون بقول آخر ليسوع المسيح، يمكن أن يكون أيضًا إشارة إلى المطهر. في العظة المستفيضة على الجبل، يوصي يسوع ثم يحذّر فيقول: «كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِئَلاَّ يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ آخِرَ فَلْسٍ» (متى ٥: ٢٥-٢٦). الكلام هنا على القاضي والسجن والتكفير عن الذنب. التطبيق على المطهر يعني أنّنا ما دمنا في الحياة يمكننا النجاة من «السجن»، الذي هو موقَّت، إن سلكنا سلوكًا حسَنًا. أمّا إن بقي علينا ما يجب تأديته، لأنّنا لم نتطهَّر التطهير الكامل من خطايانا في أثناء حياتنا، سيُلقَى بنا في سجن المطهر، حيث نؤدّي ما علينا «حَتَّى آخِرِ فَلْسٍ»، أعني حتى نتطهَّر بصورة كاملة، فيزول عنّا العقاب المفروض. وهكذا يمكننا أن ندخل السماء.

### ٥) الحوار المسكوني والمطهر

كان موضوع المطهر موضوع جدل أكثر منه موضوع حوار. كان ذلك باتّجاهَين، أوّلًا بين الكاثوليك والأورثوذكس،

وثانيًا، بين الكاثوليك والبروتستانت.

– **الحوار مع الأورثوذكس**: في الحوار مع الأورثوذكس، نوقش موضوع المطهر في المجمع المسكوني في ليون في فرنسا (١٢٧٤) وفيرنسا في إيطاليا (١٤٣٨). ولكنّه بقي فقط موضوع نقاش. لا يقبل الأورثوذكس ثلاثة أفكار في التعليم الكاثوليكي وهي: أنّ المطهر هو مكان، وأنّ فيه نارًا مادّيّة، وأنّ فيه عقابًا كفّارة عن الخطايا. ويؤكّدون من جهتهم أنّه لا يوجد بعد الموت سوى حالتين نهائيّتين: السماء وجَهنَّم. ولكن يقولون ما يلي: بعض النفوس المختارة فقط، مثل مريم البتول والأنبياء والرسل والشهداء والقدّيسون، تذهب بعد الموت مباشرةً إلى السماء. أمّا بالنسبة إلى جميع الناس، فتمرُّ النفس، قبل القيامة النهائيّة العامّة، بفترة انتظار وامتحان، حيث تُفحَص أعمالها. ينتظر الأبرار في مكان نور وسلام، ويُطَهَّرون تدريجًا ويُقدَّسون. لا يشاهدون الله بعد في جوهره بل بطريقة «التنوير». والأشرار ينتظرون في مكان ظلمة وخوف. بعد الدينونة العامّة، يدخل الأبرار مجد الله، ويذهب الأشرار إلى جَهنَّم. أمّا الصلوات والأعمال الصالحة والصدقة ولا سيما ذبيحة القداس، التي يقدِّمها الأحياء من أجل الموتى، فتساعد تلك النفوس في حالة الانتظار وتخفِّف من آلامها.

قال مجمع فيرنسا المسكونيّ ما يلي: «نحدِّد أنّ نفوس الذين تابوا توبة حقيقيّة وماتوا في حبّ الله، قبل أن يكفِّروا، بحسب ما هو مطلوب، عن الخطايا التي ارتكبوها بالفعل أو بالإهمال، تُطهَّر بعد الموت في عذاب المطهر. ويمكن أن تنال تخفيفًا من عذابات المطهر بواسطة صلوات المؤمنين الأحياء، مثل ذبيحة القداس، والصلوات المختلفة، والصدقة وسائر أعمال التقوى، التي اعتاد المؤمنون تقديمها من أجل غيرهم، بحسب تعليمات الكنيسة».



– **الحوار مع البروتستانت**: أنكر لوثر وسائر المصلحين في القرن السادس عشر تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة عن المطهر، وقدَّموا لذلك براهين كثيرة. أوَّلًا، لا يوجد في الكتاب المقدّس أساس واضح للمطهر. وأمَّا سِفرَا المكابيّين (حيث يجد الكاثولكيك أساسًا لتعليمهم عن المطهر) فليست كتبًا قانونيّة، إذًا ليست وحيًا. وسائر المراجع الكتابيّة التي يقدِّمها الكاثوليك لتأييد فرضيّة المطهر ليست مقنعة، ويمكن تفسيرها بطريقة مختلفة. وأخيرًا يقولون إنَّ عمل فداء يسوع المسيح هو عمل كامل ولا متناهٍ، بحيث إنّه يطهِّر تطهيرًا كاملًا كلَّ خاطئٍ يتوب، عندما ينتقل إلى الحياة الأخرى. فما يمنح الخلاص هو استحقاق يسوع المسيح والإيمان به، وليس أعمال المؤمن الخاصّة، ولا الصلوات التي يقدِّمها المؤمنون عن غيرهم أو أعمالهم الصالحة مثل الغفرانات وتقديم القداديس.

أجاب المجمع المنعقد في مدينة ترنتو (Trento في إيطاليا) سنة ١٥٦٣ بما يلي: «الكنيسة الكاثوليكيّة، بإلهام

الروح القدس، وبناء على الكتب المقدّسة وتقليد الكنيسة منذ القدم، وفي المجامع المقدّسة، وفي هذا المجمع المسكونيّ، تعلِّم أنّه يوجد مطهر وأنّه يمكن مساعدة النفوس في المطهر بصلوات المؤمنين، ولا سيّما بتقديم ذبيحة القداس». ثمَّ تلي تعليمات راعوية: تجنُّب القضايا الصعبة والمعقَّدة، وعدم إشاعة أمور غير أكيدة، أو أمور خرافيّة. وقد كرَّر المجمع الفاتيكاني الثاني (راجع نور الشعوب رقم ٥١) هذه الحقائق والتعليمات نفسها.

نختم هذا الفصل باقتباس من كتاب «تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة»: «الذين يموتون في النعمة وفي صداقة الله، ولكنّهم غير طاهرين بصورة كاملة، ولو أنّ خلاصهم الأبديّ أكيد، إلّا أنّهم يخضعون بعد موتهم لتطهير، حتى يبلغوا القداسة اللازمة للدخول في فرح السماء. تدعو الكنيسة هذا التطهير النهائيّ للمختارين باسم «المطهر»، وهو مختف كلّيًا عن عذاب الهالكين» (رقم ١٠٣٠ و١٠٣١).

### ٦) عرض ملخَّص

بالملخّص، في التعليم الكاثوليكي ثلاثة مكوِّنات في مفهوم المطهر: أوَّلًا، يمكن أن يخضع الإنسان لعمل تطهير بعد الموت. ثانيًا، هذا التطهير، فيه عقاب وألم، ولكن فيه أيضًا فرح وحبّ. ثالثًا، يمكن مساعدة النفوس في هذه المرحلة بصلوات



المؤمنين الأحياء للتخفيف من آلامها، مثلًا بتقديم القداديس، والصلوات والصدقة وأعمال المحبّة. ولا بدّ من التذكير بأنّ المطهر (وكذلك السماء وجَهنّم) ليس مكانًا، بل هو خارج المكان والزمان. هو حالة ووضع للتطهير فيها حبّ، أي انتظار ورغبة في التمتّع بالشركة الكاملة والأبديّة مع الله في السماء.

النار المطهِّرة هي حبُّ المسيح، والمسيح نفسه، بحسب عبارة سفر الرؤيا: «عَينَاهُ كَشُعلَةٍ مِن نَارٍ» (رؤيا ١: ١٤)، تطهِّر كلّ شائبة، وتكمِّل الحبّ وتجعله كاملًا شاملًا في «عرس الحمل» (رؤيا ١٩: ٧). كتاب اللاهوتي الشهير هانس أورس فون بالتاسار (Urs von Balthasar)، في عبارة موجزة يكرِّرها اليوم كثير من اللاهوتيّين: «الله هو الغاية القصوى لخليقته. هو السماء لمن يبلغ إليه، وجهنّم لمن يخسره والحكم لمن يمتحنه، والمطهر لمن ينقّيه. هو الذي من أجله يموت كلُّ شيء فانٍ، وله وفيه يقوم» (الأواخر في اللاهوت المعاصر، ص ٤٤ (بالإيطالية)

يقول المجمع الفاتيكاني الثاني إنّ كنيسة المسيح، قبل مجيئه في المجد، مكوَّنة من ثلاث جماعات، موجودة في ظروف مختلفة، ولكنّها متّحدة بعضها مع بعض بصورة روحيّة سرّيّة: «جماعة مهاجرة في الأرض (الكنيسة المهاجرة إلى السماء)، وجماعة في مرحلة التنقية والتطهير، وجماعة تتمتَّع بالمجد (الكنيسة المجيدة). هؤلاء يشاهدون الله الواحد والمثلَّث الأقانيم، كما هو. ونشترك جميعًا بطرق ودرجات مختلفة في

محبّة الله الواحدة وفي محبّة القريب، ونسبّح إلهَنا بنشيد التسبيح نفسه. كلّ الذين للمسيح، قبلوا الروح القدس، ويكوّنون كنيسة واحدة، وهم متّحدون في ما بينهم (راجع أفسس ٤: ١٦). فاتّحاد الذين ما زالوا مهاجرين على الأرض مع إخوتهم الراقدين في سلام المسيح، بحسب إيمان الكنيسة الدائم، هو اتّحاد لا يفصله شيء، ويزداد قوّة بتبادل الخيرات الروحيّة» (نور الشعوب، ٤٩).



## الفصل الثالث

# جَهَنَّم

**١) لماذا الكلام على جهنم؟**

قد لا يريد البعض أن نتكلّم على جَهنَّم، ولا يريدون حتّى أن يسمعوا أيَّ شيء عنها. إمّا أنّهم لا يؤمنون، وإمّا أنّهم يستخفُّون بالأمر، وإمّا أنّهم يخافون سماع كلّ ما توصف به: نار لا تطفأ، وشياطين مرعبة، وأوجه تبعث على الهلع، وتجاديف رهيبة، وعذابات لا تُحتَمل، وصرخات يائسة، وظلمات رهيبة، وكراهية كاملة. وكلّ هذا ليس شيئًا أمام الواقع والحقيقة التي هي جوهر جَهنّم، أي الانفصال عن الله. وإن لم نتكلّم على هذه الحقيقة، في العظات وفي التعليم المسيحي، لن نكون أمناء لتعليم يسوع نفسه، لأنّه هو تكلَّم عدّة مرات على جَهنَّم. وقد يسأل سائل: ألا تناقض هذه الحقيقة الرهيبة رسالة الخلاص التي جاءنا بها يسوع؟

جاء يسوع يحمل إلينا البشرى السارّة، بشرى النعمة، والأمل والعزاء، وهو نفسه البشرى الحسنة والخبر السارّ وفيه قمّة سرورنا. إذًا لماذا يحمل إلينا هذا النبأ السيِّء أنّه يوجد عذاب أبديّ؟ يُنَبِّؤُنا بذلك لأنّه يريد أن يجنِّبنا خطر الهلاك إن عملنا

السيِّئات. ويكلِّمنا بواقعيّة وبجدّيّة ليفهمنا أنّه لا يقصّ علينا حكاية أو مثلًا ما ليرعبنا، أو أمرًا لا يوجد في الواقع. يسوع يؤكِّد لنا، من جهة، وجود جَهنَّم، وأنّها وُجِدَت «لإبليس وملائكته» (متى ٢٥: ٤١)، ويحذّرنا، من جهة ثانية، أنّها يمكن أن تكون أيضًا مكان دمار لكلّ من لم يعرف أن يحبّ الله والقريب حقًّا، في حياته الأرضيّة. كيف نوفِّق إذًا بين الحديث عن هذا الخبر السيِّء جدًّا وإمكانيّة الهلاك، وبين الكلام على بشرى الخلاص السارّة؟

يقدِّم لنا الكتاب المقدّس (أي كلمة الله) مسيرة طويلة في الفكر والوحي التدريجيّ، حول هذا الموضوع. وجود الشرّ والشرّير هو سِرّ، يسمّيه القدّيس بولس «سِرّ الإلحاد» (٢ تسالونيكي ٢: ٧). يعرِّفنا به الكتاب المقدّس حتّى نبتعد عن الشرّ، ونتجنَّب نتائجه التي يمكن أن تؤدِّي بنا، إن لم نتُبْ، إلى الهلاك الأبديّ أي جَهنَّم.

**٢) العهد القديم**

الإنسان الذي يحاول أن يبقى أمينًا لله ولشريعته يلاحظ أمرًا غريبًا في الحياة، أي أنّ الأشرار يُوفَّقون ويزدهرون أحيانًا، بينما الصالحون يُخفِقون. فيتساءل: لماذا تجري الأمور هكذا؟ لماذا لا يتدخَّل الله لصالح الأبرار؟ هذا سؤال يتكرَّر مرارًا في المزامير، خصوصًا في صلاة المتواضعين والفقراء المضطَهَدين



(راجع المزامير ٣٧ و٣٩ و٧٣). في الواقع، الذي يصلِّي حقًّا يترك الله ينيره بحكمته. والله يُسمِع جوابه، فيسمعه المصلِّي: «فَلَمَّا قَصَدْتُ مَعْرِفَةَ هذَا، إِذَا هُوَ تَعَبٌ فِي عَيْنَيَّ. حَتَّى دَخَلْتُ مَقَادِسَ اللهِ، وَانْتَبَهْتُ إِلَى آخِرَتِهِمْ. حَقًّا فِي مَزَالِقَ جَعَلْتَهُمْ. أَسْقَطْتَهُمْ إِلَى الْبَوَارِ. كَيْفَ صَارُوا لِلْخَرَابِ بَغْتَةً! اضْمَحَلُّوا، فَنُوا مِنَ الدَّوَاهِي» (مزمور ٧٣: ١٦-١٩). ثمَّ يفهم البارّ، مستنيرًا بنور الله: في النهاية، إن لم يكن في الأرض جزاء، فسيكون بعد الموت. بعد الموت سيكون مصير مختلف لهؤلاء وهؤلاء. سيكون للأبرار ثواب بالقرب من الله، وسيكون الشرّير بعيدًا عن الله. ويتابع صاحب المزمور صلاته الواثقة بالله: «وَلكِنِّي دَائِمًا مَعَكَ. أَمْسَكْتَ بِيَدِي الْيُمْنَى. بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي، وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي. مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئًا فِي الأَرْضِ. قَدْ فَنِيَ جَسَدِي وَقَلْبِي. صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللهُ إِلَى الدَّهْرِ. لأَنَّهُ هُوَذَا الْبَعِيدُونَ عَنْكَ يَبِيدُونَ. وتُهْلِكُ مَنْ عَلَيْكَ يَزْنُونَ» (مزمور ٧٣: ٢٣-٢٧).

عدل الله اللامتناهي يضمن إقامة العدل في الآخرة لمن عاش وعمل الصالحات ولمن عاش وعمل السيّئات: الخلاص لمن سار في طرق الله والهلاك لمن نقض حقوق الله والناس. بدأ الكتّاب الأقدمون فتكلَّموا على مكان إقامة مشترك وغير متميِّز لكلّ الموتى، يقال له بالعبريّة «شيول»، ثمَّ أخذوا في ما بعد التمييز بين قسم أعلى في «الشيول» حيث يقيم الأبرار،

وقسم أسفل، حيث يقيم الأشرار (راجع مزمور ١٦: ١٠-١١و مزمور ٤٩: ١٥-١٦).

وهكذا بدأ الكلام على مكانين بعد الموت، أو أقلّه على وضع للأبرار وآخر مختلف للأشرار. للأبرار مكان راحة، ونعمة ورحمة قرب الله. وللأشرار مكان رعب وعذاب وموت للأبد، فهم مرفوضون لدى الله. قال سفر الحكمة في الوضعَيْن: «أَمَّا الصِّدِّيقُ فَإِنَّهُ وَإِن تَعَجَّلَهُ المَوتُ يَستَقِرُّ في الرَّاحَةِ... قَد بَلَغَ الكَمَالَ في أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ فَكَانَ مُستَوفِيًا سِنِينَ كَثِيرَةً... إِنَّ نِعمَتَهُ وَرَحمَتَهُ لِمُختَارِيهِ وَافتِقَادُهُ لِقِدِّيسِيهِ. لكن الصدّيقُ الذي قدْ ماتَ يَحكُمُ على المنافقين الباقين... فَإِنَّهُم يُبصِرُونَ مَوتَ الحَكِيمِ وَلَا يَفقَهُونَ مَاذَا أَرَادَ الرَّبُّ بِهِ وَلِمَاذَا نَقَلَهُ إِلَيهِ. يُبصِرُونَ وَيزدَرُونَ، وَالرَّبُّ يَستَهزِئُ بِهِم. سَيَسقُطُونَ مِن بَعدُ سُقُوطًا مُهِينًا، وَيَكُونُونَ عَارًا بَينَ الأَموَاتِ مَدَى الدُّهُورِ. فَإِنَّهُ يُحَطِّمُهُم وَهُم صَامِتُونَ مُطرِقُونَ، وَيقتَلِعُهُم مِنَ الأُسُسِ، وَيُتِمُّ خَرَابَهُم فَيَكُونُونَ فِي العَذَابِ وَذِكرُهُم يَهلِكُ» (حكمة ٤: ٧و١٥ و١٦-١٩).

الكتّاب الملهَمون، ولا سيَّما الأنبياء، وصفوا هم أيضًا الوضع المأساوي لأعداء الله الذين ماتوا بعيدين عنه. وصف النبيّ أشعيا الحُجّاج الصاعدين إلى أورشليم قال إنَّهُم سيقفون في مسيرتهم أمام مشهد رهيب: «وَيَكُونُ مِنْ هِلَالٍ إِلَى هِلَالٍ وَمِنْ سَبْتٍ إِلَى سَبْتٍ، أَنَّ كُلَّ ذِي جَسَدٍ يَأْتِي لِيَسْجُدَ أَمَامِي، قَالَ الرَّبُّ. وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُثَثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ،



لأَنَّ دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ، وَيَكُونُونَ رُذَالَةً لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ» (أشعيا ٦٦: ٢٣-٢٤). وقال النبيّ إرميا إنّ مكان النار والجثث يشير إلى وادي هِنُّوم، خارج أسوار أورشليم، واسمه في العبرية «جي–هِنُّوم» (ge-hinnom)، ومن هنا لفظة جَهَنَّم. هذا الوادي موجود حتى اليوم في القدس، خارج أسوار المدينة، ويحمل الاسم القديم نفسه. هناك كانوا يحرقون نفايات المدينة، وكانت النار تظلّ مشتعلة فيه ليلَ نهار. يسوع أيضًا استعمل هذا الاسم «جَهَنَّم» (راجع متى ٥: ٢٢ و١٠: ٢٨ و١٨: ٩ و٢٣: ١٥و٣٣)، وهو يدلُّ على جهنَّم أو الجحيم حيث النار الأبديّة (راجع متى ١٣: ٤٠ و٢٥: ٤١ ومرقس ٩: ٤٣ و٤٨).

**٣) العهد الجديد**

مثل الأنبياء القديمين، نجد في كرازة يوحنا المعمدان سابق المسيح، كلامًا شديد اللهجة وتنديدًا قاسيًا بكلّ الذين لا يسيرون في طريق التوبة. كان يقول لمستعميه، إن لم يتركوا سيرتهم الخاطئة وإن لم يتوبوا سيلاقون قضاء الله والهلاك في النار الأبديّة. كلماته قاطعة مثل السيف: «قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تُثمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِالمَاءِ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سَيرَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالنَّارِ. الَّذِي فِي يَدِهِ المِذرَى، فَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ،

وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ» (متى ٣: ١٠-١٢). هكذا كان يكلِّم كلَّ سامعيه الذين كانوا يتوافدون عليه ليقبلوا معموديّة الماء والتوبة. كان يوحنا يعرض عليهم بوضوح طريقَيْن تؤدِّيان إلى الأبديّة: إمّا التوبة والخلاص الأبديّ عند الله، وإمّا عدم التوبة والهلاك الأبديّ في النار. فهو ينادي بالتوبة للخلاص من الهلاك وللاستعداد لمجيء المسيح المخلِّص القريب.

يسوع الذي هو «الطريق والحقُّ والحياة» (يوحنا ١٤: ٦) دعا مرَّات كثيرة في كرازته إلى اتّباعه، و«الدُّخُولِ فِي الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ، لأَنَّ البَابَ وَاسِعٌ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهُ» (متى ٧: ١٣-١٤). نرى، منذ البداية في العظة على الجبل، أنّ يسوع أيضًا تكلَّم في كرازته على طريقين مختلفَيْن إلى الأبديّة: إمَّا الخلاص وإمّا الهلاك. في عباراته، وفي الصور التي يستعملها، وفي خطاباته ذكر مرارًا الحياة الأبديّة والطريقين المختلفَيْن، وأكَّد أنَّ مصيرنا متوقِّفٌ على خيارنا الحرّ: إمّا ملكوت الله وإمّا مملكة إبليس. وكلام يسوع واضح على وجود مملكة الشرّير، ويسمِّيها بأسماء مختلفة: الجحيم (لوقا ١٦: ٢٣)، أو الهاوية (راجع لوقا ٨: ٣١)، أو جَهنَّم (متى ٥: ٢٢؛ مرقس ٩: ٤٣) أو النار الأبديّة (متى ٢٥: ٤١). ويصفها بصور مختلفة، يصفها بالنار والأتون والدود الآكل، والبكاء، وصريف الأسنان، والظلمة، والتعذيب، والعذاب. كلُّها صور شقاء وعذاب.



ولكن الوصف الحاسم هو وصف يسوع لحالة الهالكين الذين يسمعون في الدينونة الأخيرة الحكم الرهيب: «اذهَبُوا عَنِّي، يَا مَلاَعِينَ، إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ المُعَدَّةِ لإِبلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (متى ٢٥: ٤١). جهنَّم، في كلام يسوع هذا، هي الابتعاد عن الله، عن الحياة معه. هذه هي اللعنة والعذاب الأبديّ. لا يمكن أن نتصوّر واقعًا أشدَّ رهبة. جهنَّم هي فصل وانقطاع عن كلّ ما هو صالح، وعن الخير الأسمى الذي هو الله. هذه هي حالة التعاسة التي يصفها في رواية الدينونة الأخيرة (راجع متى ٢٥)، أو في أمثال أخرى مثل الشبكة التي تجمع السمك الصالح والرديء (راجع متى ١٣: ٤٧-٥٠)، أو مثل الحقل حيث ينمو القمح والزؤان معًا (متى ١٣: ٢٤-٣٠). في نهاية العالم، عند مجيء يسوع ليدين الأحياء والأموات، تُصحَّح الأمور ويُقام العدل في كلّ مكان ولكلّ واحد: «فَيُضِيءُ الأَبرَارُ مِثلَ الشَّمسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِم»، «وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ يُلقَوْنَ فِي أَتُونِ النَّارِ المُتَّقِدِ، حَيثُ البُكَاءُ وَصَرِيفُ الأَسنَانِ» (متى ١٣: ٤١-٤٣).

تكلَّم يسوع على الدينونة الأخيرة فعلَّمنا أنّ هناك قيامة عامَّة لأجساد الراقدين، ولكن مع مصيرَيْن مختلفَيْن: إمّا الحياة الأبديّة وإمّا الموت الأبديّ. قال لليهود: «لَا تَعجَبُوا مِن هَذَا، سَتَأْتِي سَاعَةٌ يَسمَعُ فِيهَا جَمِيعُ مَن فِي القُبُورِ صَوتَهُ فَيَخرُجُونَ، الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِقِيَامَةِ الحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ

إِلَى قِيَامَةِ الهَلَاكِ» (٥: ٢٨-٢٩). هذا يعني أنَّ عقاب الهالكين عقاب للنفس والجسد معًا أي عقاب للإنسان بكامله، وسيتعذَّب في نفسه وجسده.

ولهذا عندما يتكلَّم يسوع على الجسد، وعلى العين أو اليد، ينبِّه أتباعه فيقول: «مِنَ الأَفضَلِ أَن تَفقِدَ أَحَدَ أَعضَائِكَ وَلَا يُلقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ» (متى ٥: ٢٩-٣٠). سيتعذَّب الجسد عذابًا جسديًّا في الحواسّ التي شاركت في صنع الشرّ. هذا هو معنى العبارة «أَتُونُ النَّارِ المُتَّقِدِ حَيثُ البُكَاءُ وَصَرِيفُ الأَسنَانِ» (متى ١٣: ٤٢). وتذوق النفس عذاب الروح أي البعد عن الله الحبّ الأسمى، وعدم المقدرة على التوبة وعذابَ الضمير لأنّه بذَّر حياته هنا وهناك، ولم يسمع صوت الله.

**٤) يسوع ينذرنا**

يتكلّم يسوع على جَهنّم لا ليخيفنا أو لنكتئب ونيأس، ولكن ليحذِّرنا حتى لا نسير في طريق الهلاك. فهو يقول لنا إنّ الحياة ليست لهوًا، ولا مغامرة ما، بل هي أمر جدِّيٌّ ومُلزِم. لا يقول لنا فقط إنَّ هناك مخاطر وأشراكًا وتجارب تؤدّي بنا إلى الشرّ ثم إلى الهلاك، ولكنّه يساعدنا لنتغلَّب عليها ونعيش حياة صافية هادئةً في الأرض ثم نتمتَّع بالسعادة الأبديّة. ولهذا فإنّ الله لم يخذل الإنسان قط ولن يخذله أبدًا. فقد أرسل في حبِّه اللامتناهي ابنه الوحيد ليفتح لنا باب الفردوس من جديد. قال



الملاك لمريم ويوسف «سَتُسَمِّينَهُ يَسُوع» (أي الله معنا ومخلِّص) (لوقا ١: ٣١ ومتى ١: ٢١). يسوع يحبُّنا، ولهذا فهو لا يدلُّنا فقط على جمال ملكوت الله، بأمثلة وتشابيه عديدة، وبمثال حياته نفسها، ولكنَّه يبيّن لنا أيضًا قباحة الشرّ، ينظر إليه بواقعيّة، ويسمِّيه باسمه، ويحذِّرنا من نتائجه التي يمكن أن تؤدِّي بنا إلى حالة لا أمل فيها. ليحفِّزنا على تجنُّب الدمار الشامل لحياتنا، يحثُّنا، وينبِّه، ويؤنِّب، ويغضب، وأحيانًا يهدّد. ليس يسوع عنيفًا، ولكنّه لا يمكن أن يبقى هادئًا صامتًا أمام الشرّ. بل يغضب ويعترض على الشرّ الذي يراه. ويزيل القناع عن وجه المرائين المنافقين والعنيفين، ويدين المتكبِّرين والذين يخدعون غيرهم وهم لهم حجر عثرة.

يستخدم تشابيه كثيرة مأخوذة من الكتب المقدّسة ومن خبرة الحياة اليوميّة. يقول لنا: انتبهوا. إن صنعتم الشرّ ولم تتوبوا ستذهبون إلى جَهنَّم، «إلى النار التي لا تُطفَأ» (مرقس ٩: ٤٣)، وهي أسوأ وأشدّ من النار التي تراها مشتعلة كلّ يوم في وادي هِنُّوم في أورشليم، التي تحرق كلّ الأوساخ والنفايات. انتبهوا، فإنّكم وإن اعتمدتم وصرتم أبناء الله، بهبَة منه مجّانيّة، إن لم تبقوا أمناء لهذه الهبة ولم تستجيبوا للنعمة التي قبلتموها، أنا أقول لكم: «إِنَّ أَبنَاءَ المَلَكُوتِ سَيُلْقَوْن خَارِجًا فِي الظُّلمَةِ البَرَّانِيَّةِ حَيثُ البُكَاءُ وَصَرِيفُ الأَسنَانِ» (متى ٨: ١٢). يقول يسوع: توبوا وإلّا فستُلقَوْن «فِي النَّارِ الأَبَدِيَةِ» (متى ١٨:

٨). اذكروا الغنيّ الذي كان في حياته متنعِّمًا ثم كان مصيره العذاب الرهيب في النار (راجع لوقا ١٦: ٢٤-٢٥)، بينما لقي لعازر المسكين العزاء في الحياة الأبديّة. وكرّر يسوع تحذيره للجميع: «إن لم تتوبوا تهلكوا جميعكم، تهلكون جميعًا بالطريقة نفسها» (لوقا ١٣: ٣-٤).

بهذه الصور والتنبيهات وصف يسوع لنا جَهنّم في حقيقتها الرهيبة. وهي في جوهرها الإقصاء والانفصال عن الله، الخير الأسمى والحبّ الأسمى. ما أرهب هذه الكلمات: «اذهبوا عنّي. فأنا لا أعرفكم» (راجع متى ٧: ٢٣؛ ٢٥: ١٣و٤١). الهالك «لَا يَرَى الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ بَل يَحِلُّ عَلَيهِ غَضَبُ الله» (يوحنا ٣: ٣٦). هذا هو الموت الأبديّ (راجع مرقس ٩: ٤٣و٤٨؛ ١يوحنا ٣: ١٤). الحرف «بَل» والصفة «الموت الأبديّ» كلمات قاسية جدًّا وحقائق مرعبة. ولكن يسوع يقولها لنا لخيرنا، حتى نوجِّه حياتنا التوجيه الصحيح. إن ضَلَلْنا الطريق فهو يدعونا إلى التنبُّه والعودة إلى الله، الذي يريد فقط سعادتنا الأبديّة. نحن الذين نقول لله: لا. نحن نرفض قبول هبة الله لنا. أمّا الله فيقول دائمًا: نعم، للإنسان، وهي «نَعَم» يسوع، كما يقول القديس بولس: «لأَنَّ ابْنَ اللهِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي كُرِزَ بِهِ بَيْنَكُمْ بِوَاسِطَتِنَا، أَنَا وَسِلْوَانُسَ وَتِيمُوثَاوُسَ، لَمْ يَكُنْ نَعَمْ وَلاَ، بَلْ قَدْ كَانَ فِيهِ نَعَمْ» (٢ قورنتس ١: ١٩).



**٥) يسوع يعلِّمنا أن نصلّي: «نجِّنا من الشرّير»**

إذًا ماذا علينا أن نعمل؟ أنيأس لأنّنا خطأة؟ كلّا، أبدًا. بالعكس، يبقى فينا الأمل، الأمل دائمًا وبلا نهاية. لهذا جاء يسوع، لأنّ الله يريد أن يَخلُصَ الجميع. لهذا جاء يسوع كلمة الله الأزليّ إلى العالم، جاء من أجل المرضى وليس من أجل الأصحّاء والأبرار فقط (راجع ١ طيموتاوس ١: ١٥؛ مرقس ٢: ١٧). فيجب أن نحافظ على الأمل فينا، من أجلنا ومن أجل غيرنا. أمل ورجاء وصلاة وحبّ. هذه هي أعمال الخلاص. أنا تلميذ ليسوع المسيح، وأترنَّم برحمة الله التي تبقى إلى الأبد. «بِالرَّجَاءِ خُلِّصْنَا» (روما ٨: ٢٤). ويضيف بولس نفسه: «وَلْيَمْلأْكُمْ إِلهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَانِ، لِتَزْدَادُوا رَجَاءً بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (روما ١٥: ١٣). أمل ورجاء وصلاة من أجل نفسي، لأنّ الخلاص أمر شخصيّ، وكذلك الدينونة، أنا الذي سأُدان. ولكن أرجو وأصلّي أيضًا من أجل الآخرين، وبهذا أتمِّم مشيئة الله، «لِأَنَّ اللهَ يُرِيدُ أَن يَخلُصَ جَمِيعُ النَّاسِ، وَيَبلُغُوا إِلَى مَعرِفَةِ الحَقِّ» (١ طيموتاوس ٢: ٤).

ويسوع نفسه يوصينا ويعلِّمنا أن نصلّي، ليس فقط من أجل أنفسنا، بل من أجل جميع الناس. وأعطانا الصلاة النموذجيّة «أبانا الذي»، وختمها بالابتهال: «نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير»، نجِّنا جميعًا، نحن وجميع الناس. بخطيئتنا الشخصيّة لا ندمّر أنفسنا فقط، بل نسبّب الدمار في المجتمع كلِّه. بخطيئتنا نُدخل في المجتمع

عدوى الشرّ وسُمَّه، فتصبح خطيئتنا «خطيئة العالم» (يوحنا ١: ٢٩) بل «عالم الشرّ» (يعقوب ٣: ٦). وتنضمّ إلى سرّ الخطيئة، السرّ الذي يسمّيه بولس الرسول «سرّ الإلحاد» (٢ تسالونيقي ٢: ٧). ومثل ذلك، بصلاتي ورجائي أشترك وأتّحد بإرادة الله الخلاصيّة التي تشمل الكون كلّه. مثل قدّيسين ومتصوّفين عديدين، مثل إسحق السوريّ، وغريغوريوس النيصيّ، وكاترينا السيانيّة... أجرؤ فأرجو وأجرؤ فأشفع بجميع الناس، مثل موسي النبيّ، وبولس الرسول، اللذين صلّيا من أجل شعبهما، وطلبَا حتى أن يُحرَما إن لزم الأمر ليَخلُص الشعب. قال موسى لله: «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، وَقَالَ: «آهِ، قَدْ أَخْطَأَ هذَا الشَّعْبُ خَطِيئَةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيئَتَهُمْ، وَإِلَّا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خروج ٣٢: ٣١-٣٢). وعبّر القديس بولس أيضًا عن تضامنه مع شعبه وإخوته، وقال إنّه يقبل أن يكون محرومًا في سبيلهم وملعونًا ومفصولًا عن المسيح، إن كان هذا يمكن أن يكون مفيدًا لخلاص إسرائيل الذي لم يعترف بيسوع مسيحًا (راجع روما ٩: ١-٣).

الكنيسة، «عَمُودُ الحَقِّ وَرُكْنُهُ» (١ طيموتاوس ٣: ١٥)، هي أيضًا تعلّمنا. فإنّها تعلن الكثيرين قدّيسين، وتؤكّد أنّهم في السماء مع الله. ولكنّها لم تجرؤ قط على تثبيت اسم إنسان واحد في جَهنّم. لأنّ الديّان الوحيد هو الله وحده. هو العدل الكامل، والرحمة الشاملة والحبّ الأبدي. فمع دانيال النبي



نقول: «سبِّحُوا الرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ، لِأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحمَتَهُ» (دانيال ٣: ٨٩). ولنستمع إلى يسوع في كلامه على صعوبة خلاص ذوي المال: «بَقِيَ التَّلاَمِيذُ مُندَهِشِينَ وَقَالُوا: مَن يُمكِنُهُ أَن يَخلُصَ إِذًا؟ فَنَظَرَ يَسُوعُ إِلَيهِم وَقَالَ: هَذَا مُستَحِيلٌ عِندَ النَّاسِ، أَمَّا لله فَكُلُّ شَيءٍ مُمكِنٌ» (متى ١٩: ٢٥-٢٦). ولهذا تعلّمنا الكنيسة في الليتورجيا أن نصلّي فنقول: «مِن الموتِ الأبدِيّ، نَجِّنا، يا ربّ» (في طلبة جميع القديسين). في ظهورات مريم العذراء أيضًا في بلدة فاطمة في البرتغال، أوصت مريم العذراء الرعاة الصغار الثلاثة، سنة ١٩١٧، أن يضيفوا هذه الصلاة بعد كلّ بيت في صلاة المسبحة: «يا يسوع، اغفرْ لنا خطايانا، واحفَظْنا من نار جَهنَّم، وتقبَّلْ في السماء كلَّ النفوس، ولا سيَّما أكثرَها حاجةً إلى رحمتِك».

### ٦) كرازة الرسل

تسلَّم الرسل وصيّة يسوع المسيح وحفظوها بتمامها بأمانة. قال لهم: «اذهَبُوا إِلَى العَالَمِ كُلِّهِ وَاكرِزُوا بِالإِنجِيلِ لِكُلِّ الخَلِيقَةِ» (مرقس ١٦: ١٥). الإنجيل هو البُشرى السارّة، بُشرى الخلاص في المسيح المقدَّمة للجميع. البُشرى السارَّة تُقدَّم بوجهها الإيجابي، أي الخلاص، وتُقدَّم أيضًا بالوجه السلبيّ أي العوائق دون الخلاص، والأخطاء والرفض الممكن من قبل الإنسان. إذ ليس من الأكيد أنْ سيؤمن الجميع ويقبلون الإيمان.

كلٌّ واحد مدعوٌّ، ولكنّه يستجيب بإرادته الحرّة. فيمكنه أن يقول: نعم أو لا. يمكنه أن يقبل أو يرفض. سيكون تلاميذ وموئيِّدون، ولكن سيكون أيضًا معارضون ومنكرون. ولهذا أضاف يسوع: «مَن آمَنَ وَاعتَمَدَ يَخلُصُ، وَمَن لَم يُؤمِن يَهلِكْ» (مرقس ١٦: ١٦). كلمة «يهلك»، تعني بوضوح أنّه يوجد هلاك، وهو ما نسمِّيه «جهنم». تبدأ الجملة باللفظة «مَن»، من غير حصر ولا تحديد: فالكلّ مشمول، والدعوة شاملة موجَّهة إلى البشريّة جمعاء في كلّ زمان ومكان، وفي الوقت نفسه هي موجَّهة إلى كلّ واحد منَّا شخصيًّا. لا أحد مستثنى، والجواب الشخصيّ وحده من كلّ واحد هو الذي يفتح الباب أو يغلقه: لمن آمن تُفتَح أبواب السماء، ولمن لا يؤمن تُفتَح أبواب جَهنَّم.

حمل الرسل هذه الرسالة بأمانة وسلَّموها إلينا. سنتكلَّم في الفصل القادم على رسالة الخلاص الأبديّ في السماء مع الله وفي الله، التي سلَّمونا إيّاها. نذكر الآن بعض الإنذارات التي تدعو إلى الهرب من المخاطر والخطايا التي تؤدِّي إلى الهلاك في جَهنَّم. في الرسالة إلى أهل تسالونيقي، يذكر القديس بولس «قَضَاءَ اللهِ العَادِلِ» (٢ تسالونيقي ١: ٥) ويعزّيهم بتذكيره إيَّاهم بالثواب الذي سينالونه: «مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ فَيُعَجَبُ بِهِ جَمِيعُ الَّذِينَ آمَنوا. لأَنَّ شَهَادَتَنَا عِنْدَكُمْ صَادِقَةٌ» (٢ تسالونيقي ١: ١٠). ولكنّه يتكلَّم في الوقت نفسه على الوجه الثاني من الحقيقة، بقوله: «فَإِنَّهُ مِنَ العَدلِ عِندَ اللهِ أَن يُجَازِيَ بِالضِّيقِ



أُولَئِكَ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُم، وَأَن يُجَازِيَكُم وَإِيَّانَا بِالرَّاحَةِ عَلَى مَا تَحتَمِلُونَ مِنَ الضِّيقِ، عِنْدَ تَجَلِّي الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ يَومَ يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُدرَتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيبٍ، وَيَنتَقِمُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فإنهم سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مُبتَعِدِينَ عَنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَعَنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ» (٢ تسالونيقي ١: ٧-٩). بولس الرسول لا يخفي الحقيقة ولا يقول كلامًا وسَطًا أو نصفَ حقيقة. بل يقول الحقيقة كاملة شاملة، مذكِّرًا بوعد يسوع لتلاميذه: «إِنَّ الرُّوحَ القُدُسَ يُرشِدُكُم إِلَى الحَقِيقَةِ كُلِّهَا» (يوحنا ١٦: ١٣). في هذا المقام، يقدِّم بولس تفسيرًا جميلًا في الرسالة نفسها، عندما يتكلّم بعد قليل على المعارضين للحقيقة فيقول: «وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ» (٢ تسالونيقي ٢: ١٠-١٢). وكذلك لا يستخدم بولس أنصافَ العبارات، بل كلمات كاملة المعنى واضحة ليبيِّن من هم الذين يستحقّون دخول السماء. كتب إلى أهل قورنتس: «أَمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (١ قورنتس ٦:٩-١٠)). هذه أقوال مخيفة،

ولكنَّها في الكتاب المقدس ويجب أن نقرأها ونعرفها.

القديس بطرس، تكلَّم في رسالته الأولى على الخلاص والمجد في المسيح. وفي رسالته الثانية، وخصوصًا في الفصل الثاني، أنَّب بألفاظ شديدة الذين يتعدون عن يسوع ويعرِّضون نفسهم للهلاك الأبديّ. يكفينا إيراد بعض الآيات التالية: «وَلكِنْ، كَانَ أَيْضًا فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، كَمَا سَيَكُونُ فِيكُمْ أَيْضًا مُعَلِّمُونَ كَذَبَةٌ، الَّذِينَ يَدُسُّونَ بِدَعَ هَلاَكٍ. وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِي افْتَدَاهُمْ، يَجْلِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَلاَكًا سَرِيعًا. وَسَيَتْبَعُ كَثِيرُونَ تَهْلُكَاتِهِمْ. الَّذِينَ بِسَبَبِهِمْ يُجَدَّفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. وَهُمْ فِي الطَّمَعِ يَتَّجِرُونَ بِكُمْ بِأَقْوَالٍ مُصَنَّعَةٍ، الَّذِينَ دَيْنُونَتُهُمْ مُنْذُ الْقَدِيمِ لاَ تَتَوَانَى، وَهَلاَكُهُمْ لاَ يَلحَقُهُ فُتُورٌ» (٢ بطرس ٢: ١–٣). ولا يهاب القديس بطرس من الإضافة: «أَمَّا هؤُلاَءِ... فَسَيَهْلِكُونَ فِي فَسَادِهِمْ آخِذِينَ أُجْرَةَ الإِثْمِ» (٢ بطرس ٢: ١٢–١٣).

وأخيرًا، لا بدَّ من التذكير أيضًا بكلمات القديس يوحنا، المعروف بأنّه رسول المحبّة ونبيّ الحبّ. بسبب أمانته لإنجيل يسوع المسيح، لا يمكن أن يغفل عن تبليغ الرسالة التي موضوعها إمكانيّة الهلاك الأبديّ للمسيحيّ ولكلّ من لا يعيش في الحبّ وفي الحقيقة. عرض الموضوع في رسائله، وفي سفر الرؤيا. كتب قال: «نَعرِفُ أَنَّنَا انتَقَلْنَا مِنَ المَوتِ إِلَى الحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ إِخوَتَنَا. مَن لَا يُحِبُّ يُقِيمُ فِي المَوتِ» (١ يوحنا ٣: ١٤). في هذه



الجملة البسيطة ولكن المعبِّرة نجد الحالتَيْن الممكنتَيْن للإنسان، إذا ما وقف أمام الله الديّان المثيب: الحياة الأبديّة لمن عرف أن يُحِبّ في الله ومن أجل الله، والموت الأبديّ لمن لم يعرف أن يُحِبّ في الله ومن أجل الله. لا يوجد بديل، ولا مهرب آخر. كلّ هذا يستدعي جوابنا الحرّ والمسؤول. هذه هي الكلمة النهائيّة إذًا التي لا تتبدّل. وهذه هي البداية، التي تخرج من فم الله: «وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!». وَقَالَ لِي: «اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ». ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا. مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا. وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي» (رؤيا ٢١: ٥–٨).

### ٧) تقليد الكنيسة

كلام يسوع والكتاب المقدّس واضح لا يحتمل أيّ التباس، ولهذا وعظ آباء الكنيسة دائمًا، وكلّ التقليد المسيحيّ، بالحقيقتين: السماء وجَهنَّم. بالطبع وجهة النظر وطريقة الطرح كانت دائمًا مختلفة. نهاية الحياة المسيحيّة هي فقط الخلاص الأبديّ، أي الحياة الأبديّة في الله ومع الله. ولكنّ

الهلاك الأبديّ أيضًا أمر ممكن وخطر حقيقيّ، وليس فقط أمرًا فرَضيًّا. ويستعمل الإنجيل والعهد الجديد الصفة «أبديّ» أو عبارات مشابهة سواء للإشارة إلى الحياة في الله ومعه في السما، أو إلى الحياة البعيدة عن الله في جَهنَّم (راجع متى ٢٥: ٤١؛ مرقس ٩: ٤٣و٤٨؛ ٣: ٢٩؛ يوحنا ٨: ٥١؛ يوحنا ١٢: ٢٥؛ ٢ تسالونيقي ١: ٨؛ ١يوحنا ٣: ١٣؛ رؤيا ١٤: ١١؛ ٢٠: ١٠).

أكَّد تعليم الكنيسة الرسميّ بصورة خاصّة على أبديّة جهنَّم، أمام بعض المواقف التي كانت تقول إنّ جَهنَّم ليست أبديَّة بل موقَّتة. ولهذا رفضت الكنيسة موقف أوريجانس (+٢٥٤) وأتباعه، الذين قالوا بإمكانيات جديدة للتطهير والتوبة للذين يوجدون في جَهنَّم، بل قالوا أيضًا بخلاص عامّ نهائيّ لكلّ الخلائق البشريّة، حتى الشياطين. على كلّ الذين كانوا ينكرون أبديّة جهنَّم ويقولون بإمكانيّة مغفرة إلهيّة عامّة، كان القديس أغسطينس (+٤٣٠) يجيب: «الكتاب المقدس، الذي لا يخطأ، يقول لنا إن كلّ الخطأة سوف ينالون العقاب الأبديّ» (مدينة الله، جزء ٢١، ٢٣). يؤكِّد كتاب «تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة» اليوم أيضًا الحقيقة نفسها: «الموت في الخطيئة المميتة، من دون توبة، ومن دون قبول محبّة الله الرحيم، يعني بقاء النفس منفصلة انفصالًا دائمًا عن الله، وذلك نتيجة خيارنا الحرّ. وهذه هي جَهنَّم: نحن نقصي أنفسنا بقرار حرّ عن الشركة مع الله ومع الطوباويّين. تكلّم يسوع المسيح مرارًا



وتكرارًا على «جَهنّم» «والنَّارِ الّتِي لَا تُطفَأ»، المُعَدَّة للذين يرفضون الايمان والتوبة حتى آخر حياتهم. والهلاك هو هلاك النفس والجسد» (رقم ١٠٣٣-١٠٣٤).

**٨) إن كان الله صالحًا ورحيمًا،**
**فكيف يمكنه أن يعاقب ويحكم بالهلاك؟**

ليس الله كما نتصوّره في حدود مخيّلتنا. قد يتصوَّره البعض إلهًا قاسيًا، منتقمًا، معاقبًا، وديّانًا شديدًا... كتب الفيلسوف برتراند راسل (Bertrand Russel): «لا يمكن أن يوجدَ جَهنَّم إلّا أناس قساة بلا رحمة». إذًا لا يمكن أن يكون الله الرحيم هو الذي أوجد جهنَّم، لأنّ الله محبّة، فقط محبّة، ومحبّة تريد أن «يَخلُصَ جَمِيعُ النَّاسِ» (١ طيموتاوس ٢: ٤)، أعني تريد أن يكونوا سعيدين معه في السماء. قال الله على فم النبيّ هذه الكلمات البيِّنات: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَنَا لَا أُسَرُّ بِمَوتِ الخَاطِئِ، بل لِيَتُبْ الخَاطِئُ عَن شَرِّهِ فَيَحيَا» (حزقيال ٣٣: ١١). وقال يسوع: «إنّ النَّارَ الأَبَدِيَّةَ أُعِدَّتْ لِإبلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ» (متى ٢٥: ٤١). «أُعِدّتْ». من الذي أعدَّها؟ ليس الله. بل الملائكة الذين خطئوا وعصَوا هم الذين صنعوا جهنّم بابتعادهم عن الله. فهي إرادة الخليقة الحرّة فقط، الملاك أو الإنسان، التي يمكن «أن تُوجِد» وقد أوجدت فعليًّا جَهنَّم. كلّ ما يخلق الله وكلّ ما خلقه هو «حَسَنٌ جِدًّا» (تكوين ١: ٣٤). الشرّ مصدره هو

الإنسان فقط، عندما لا يقبل الحبّ المعروض عليه من قبل الله، ويصرُّ على موقفه الرافض، ويتمرّد. من يعيش في «اللاحبّ» وفي الكراهية، هذا هو المقيم في جَهنّم، كما يقول القديس يوحنا: «مَن لَا يُحِبّ يُقِيمُ فِي المَوتِ» (يوحنا ٣: ١٤). لهذا أرسل الآبُ ابنَه كلمتَه يسوعَ. ورسالة يسوع هي الخلاص لجميع الناس. ويسوع يحذّرنا من السقوط في الشرّ والهلاك. أمّا هو فيكرّر ويقول لنا: «جِئْتُ لِتَكُونَ لَكُمُ الحَيَاةُ وَتَكُونَ وَافِرَةً» (يوحنا ١٠: ١٠). نحن نؤمن إيمانًا ثابتًا أنّ يسوع «مَاتَ مِن أجلِ جَمِيعِ النَّاسِ» (٢ قورنتس ٥: ١٥)، وأنّ «اللهَ الحَيَّ هُوَ مُخَلِّصُ النَّاسِ أَجمَعِينَ وَلَا سِيَّمَا الَّذِينَ يُؤمِنُونَ» (١ طيموتاوس ٤: ١٠)، كما تقول الرسالة الأولى إلى طيموتاوس.

يقول «تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة» في عبارات مناسبة جدًّا: «الله لا يحدِّد مسبقًا أن يهلك أيّ أحد في جَهنَّم. إنّما يأتي الهلاك في جهنّم نتيجة انحراف إراديّ حرّ وابتعاد عن الله (بالخطيئة المميتة) يبقى حتى النهاية. في الليتورجيا الإفخارستية وفي صلوات المؤمنين اليوميّة، تطلب الكنيسة الرحمة من الله الذي لا يريد أن يهلك أحد، بل يمنح الجميع فرصة لأن يتوبوا» (٢ بطرس ٣: ٩). تقول الصلاة: «تقبَّلْ، يَا ربّ، التقدمة التي نقرِّبُها لك، نحن خدَّامَك وكلَّ أسرتك: ثَبِّتْ أيَّامنا في سلامك، وخلِّصْنا من الهلاك الأبديّ، واقبَلْنا في عداد مختاريك» (رقم ١٠٣٧).



**٩) نحن وحدنا فقط نقدر أن نريد جَهنَّم**

خلَّصَنا يسوع «بنعمته» كما يقول القديس بولس: «بِالنِّعمَةِ خُلِّصْتُم بِوَاسِطَةِ الإِيمَانِ. وَهَذَا لَيسَ مِنكُم، وَلَكِنَّهُ هِبَةٌ مِنَ اللهِ» (أفسس ٢: ٨). يستعمل اللاهوتيون هنا عبارة «الخلاص الموضوعي»، أي خلاصٌ أتانا من غيرنا، من الله، هو خلاص تحقَّق ومنحنا الله إيّاه هبة مجّانيّة منه، من دون أيّ استحقاق منّا. قد نقول: ألا يحمِّلنا الله هكذا مسؤوليّة خلاصنا، ألا يفرضه علينا فَرضًا؟ كلّا، بل يقدِّم لنا الخلاص بحبُّه وبسبب حبِّه لنا. هذه سُنَّة الحبّ: القبول والترحيب والمحافظة على الهبة وتنميتها. الحبّ يستدعي الحبّ. يسوع لا يجبرك على حبّه. خلقك حرًّا ويحترم حرِّيَّتك. وإن استعملتها بصورة خاطئة بسبب أنانيّاتك المختلفة، أنت حرٌّ وقادر على أن تقول لله: «لا تكُنْ مشيئتك». وبهذا الموقف، أنت الذي تخلق جَهنَّم لنفسك.

يريد الله أن تقول أنت بحرّيّتك «نعم» لحبّه، ولهبته، وأن تعترف بها، وتصونها، وتُظهِرها في حياتك، وتعلنها وتهبها لغيرك. هنا يستعمل اللاهوتيون عبارة الخلاص «الذاتي» ليدلّوا على جوابنا من داخل ذاتنا على هبة الله المجّانية، على حبّه لنا. الخلاص «الذاتي» هو جوابنا «نعم»، هو جواب شخصيّ وحرّ على ال«نَعَم» منه، وجواب على حبِّه لنا. لا يوجد، ولا يمكن أن يوجد، خلاص اوتوماتيكيّ يتحقَّق مهما فعلنا، وكيفما عشنا، حياةً صالحة أو سيّئة. في هذه الحال تُلغَى حرّيّة الإنسان

ومسؤوليّته. وفي هذه الحال، يُنكَر عدل الله الذي يخلِّص الصالح والطالح على السواء، من غير الأخذ بعين الاعتبار مواقف الحبّ أو الكراهية في الناس. الله يطلب تعاوننا، أي جواب حبِّنا وحرّيّتنا: «نعم». عبَّر القديس أغسطينس عن ذلك بصورة عجيبة في هذا القول البليغ: «الذي خلقك من دونك، لن يخلِّصك من دونك» (العظة ١٦٩، ١١، ١٣). وبصيغة أخرى يمكن أن نقول: من خلقك من دون علمك أو من دون خيارك، لا يقدر أن يخلِّصك إن لم تُرِدْ أنت أن تَخلُصَ. وقد كرَّرت هذا الوقف إديت شتاين (القديسة تريزا بنديكتا للصليب)، لمّا كانت في جحيم معسكرات الإبادة، في أوشفيتس عام ١٩٤٢، قالت: «من واجب كلّ واحد أن يقرِّر مصيره الخاصّ. الله نفسه يتوقَّف أمام سرّ حرّيّة كلّ إنسان».

ما هي جَهَنّم إذًا؟ هي رفض وإبعاد الحبّ الذي يخلِّصنا. ومن هو إبليس؟ يجيب إبليس: «أنا الخائن الذي حرمت نفسي حبَّ الله»، أجاب بهذا الكلام لمّا ظهر للقديسة كاترينا من جينوفا جوابًا على سؤالها: «أنت من؟» وكتب الروائيّ الروسيّ الكبير، فيودور دوستويفسكي: أيّها الآباء والمعلِّمون، أنا أسأل نفسي: ما هي جهنم؟» ثم يعرِّفها بهذه الصورة: «هي عذاب عدم المقدرة على الحبّ» (الإخوة كرامازوف). بكلام آخر، جَهنَّم هي كأنّنا نقول ليسوع: أنا لا أبالي بما صنعت من أجلي وبما تصنع. لا أبالي بحبِّك، حتى



الموت على الصليب. أنا أقرّر وأنا أبحث عن مواضيع حبّي، أنا حرٌّ وأصنع ما يرضيني». وبهذا أكرِّر خطيئة آدم وحواء. هذه كانت خطيئتهما. باختيارهما الحرّ، وقعا في إغراءات الحيّة المجرِّبة، ووفَّرا لأنفسهما بعصيانهما (أي بعدم الحبّ) ملذّات الشجرة التي وضعها الله ليمتحن بها حبَّهما له. أخطآ فوجدا أنفسهما عريانَيْن، في اللاشيء، في الفراغ، تاعسَيْن. نظرا إلى تلك الشجرة فوجدا أنّها «جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ لاكتساب الحكمة» (تكوين ٣: ٦)، فقطفا ثمرها وذاقاه، وبذلك اختارا جَهنَّم أي إقصاءهما عن أمر الله وحبِّه، ومن ثمّ إخراجهما من الفردوس، مكان اللقاء مع الله. «فَطَرَدَ الرَّبُّ الإِلَهُ الإِنسَانَ مِن جَنَّةِ عَدَن» (تون ٣: ٢٣). الفردوس هنا، ترجمة للكلمة العبريّة (المشتقة من الفارسيّة القديمة) «بارْديس» أي البستان. وجَهنَّم هي هذا: هي خارج الفردوس الذي فيه ومن أجله خلق الله الإنسان. جهنَّم هي إقصاء الذات عن صداقة الله، وابتعاد عنه. هذه هي جهنَّم على الأرض وبعد الأرض: الانفصال عن الله، انفصال بين الإنسان والإنسان، بين آدم وحواء، وبين قاين وأخيه هابيل، وهي تمرُّد الطبيعة، وهي انفصال بين الإنسان والله.

لكن، سنستمرّ نحن في رجائنا، نضعه في الله، وفي الصلاة مع الكنيسة، من أجل أنفسنا ومن أجل جميع الناس: «مِنَ الموتِ الأبديّ، نَجِّنَا، يَا ربّ».

# الفصل الرابع

# السماء

**١) يسوع كلَّمنا على «السماء»**

إن نظرنا في نصّ الأناجيل (في النصّ اليوناني الذي وصل إلينا) يسوع ذكر مرّة واحدة لفظة «الفردوس (أي السماء)». وعد اللصّ اليمين بالفردوس، وكان ذلك في أقسى وأصعب لحظة في حياة ذاك اللصّ التائب، المصلوب إلى جانبه على الجلجلة. تاب اللصّ توبة كاملة، وطلب المغفرة والخلاص قال: «اذكُرْنِي، يَا يَسُوع، إِذَا مَا جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». أجابه يسوع: «اليَومَ سَتَكُونُ مَعِي فِي الفِردَوسِ» (لوقا ٢٣: ٤٢-٤٣). اللصّ تكلَّم على الملكوت، ويسوع تكلَّم على الفردوس. وما هو الفردوس؟ وصفه يسوع بكلمتين بسيطتين، ولكن عميقتين جدًّا، وصف يسوع بهما واقع الفردوس بكماله. قال يسوع: «معي»، وقال: «اليوم». هذا هو الفردوس أن نكون مع يسوع. ولم يترك رفيقه في العذاب ينتظر حتى آخر الأزمنة. بل قال له: «اليوم». وهذا «اليوم» يدوم إلى الأبد. هذا هو إذًا الفردوس: أن نكون مع الله، ونكون معه إلى الأبد. نكون مع الله الذي هو كلّ شيء ويشمل كلّ شيء. أكَّد ذلك القديس



بولس بعبارة بليغة في الرسالة إلى أهل تسالونيقي: «سَنَكُونُ مَعَ الرَّبِّ دَائِمًا أَبَدًا» (١ تسالونيقي ٤: ١٧).

وردت هذه اللفظة نفسها «فردوس» مرَّتَيْن فقط في العهد الجديد. مرة لمّا وعد يسوع من يبقى أمينًا له: «لِلمُنتَصِرِ أُعطِيهِ أَن يَأكُلَ مِن شَجَرَةِ الحَيَاةِ، الَّتِي غُرِسَتْ فِي فِردَوسِ اللهِ» (رؤيا ٢: ٧). وهو وعد عجيب، يضمن تلك الحياة في البستان – الفردوس الذي أُخرِجَ منه أجدادنا، لأنَّهما خالفا ثقة الله وصداقته، بعد أن عرض عليهما تجربة حبّ، أراد بها أن يجرَّب حبَّهما له. قال الله لهما: «مِن ثَمَرِ الشَّجَرَةِ فِي وَسَطِ البُستَانِ، لَا تَأكُلَا وَلَا تَمَسَّاهَا، وَإِلَّا سَتَمُوتَانِ مَوتًا» (تكوين ٣: ٢). ولكن أغرتهما الحيّة، فأرادا أن يذوقا من ثمر الشجرة، قبل أن يحصلا على النصر (والنصر ثمرة الأمانة، ولم يكونا أمينَيْن فلم ينتصرا)، أي قبل الزمان والكيفيّة المُعَدَّة من قبل الله. سقطا في التجربة وأُخرِجَا من الفردوس. ثم فُتِح الفردوس من جديد، لمّا ارتفعت شجرة الصليب، شجرة الحياة، وعُلِّق عليها خالق الحياة، والذي قدَّم لنا من جنبه دمًا وماء. ومن أكل جسده وشرب دمه استطاع أن يعود إلى الفردوس.

وأخيرًا نجد هذه اللفظة «فردوس» في العهد الجديد في رسالة القديس بولس، عندما وصف خبرته الصوفيّة، فقال «خُطِفْتُ إلى الفِردَوسِ» (٢ قورنتس ١٢: ٥). وسنتكلَّم على هذا في ما بعد بصورة مطوَّلة.

الجدير بالملاحظة أنَّ لفظة «فردوس» مشتقّة من اللغة الفارسيّة القديمة وتعني «البستان». كان الناس، في الديانات القديمة في الشرق الأوسط، يتصوَّرون الآلهة مثل أسياد قديرين ومثل ملوك الأرض، يعيشون في قصور فخمة محاطة بالبساتين، ترويها مياه غزيرة، وتنمو فيها أشجار يانعة، ترتفع بينها شجرة الحياة. سفر التكوين يقدِّم هذه الصورة، حين يقول: «وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَجَعَلَ فِيهَا الإِنسَانَ الَّذِي جَبَلَهُ» (تكوين ٢: ٨). وأضاف أنّ الله «كَانَ يَتَمَشَّى فِي البُستَانِ» (تكوين ٣: ٨). كما رأينا أعلاه، قبل قليل، في سِفر الرؤيا، وهو آخر سِفر في الكتاب المقدّس، تكرَّرت فيه صورة شجرة الحياة نفسها، في وصف فردوس الله. ولهذا قال آباء الكنيسة في تفسيرهم لسفر التكوين: «خلق الله الإنسان، ووضعه في فردوس أي في المسيح».

**٢) استخدم يسوع صورًا ورموزًا**

استخدم الربُّ يسوع والمعلِّم صورًا ورموزًا وتشابيه نفهمها، ليصف الفردوس، غير المرئيّ للعيون البشريّة، وليساعدنا على الدخول في العالم السماويّ. استخدم ألفاظًا بسيطة وشائعة، مثل البيت والسكنى والحياة والفرح، ونسبها إلى نفسه، ولكن بصورة خاصّة إلى الآب. لربما أجمل لفظة وأكثرها تأثيرًا هي لفظة «حياة»، والتي غالبًا ما نجدها مقترنة



بصفة «الأبديّة». ومن لا يرغب في أن يعيش حياة طويلة ويتمتَّع بها؟ – ما عدا بعض الحالات الاستثنائيّة الصعبة. حتى في الحالات الصعبة، يشعر كلّ واحد أنّه متمسِّك بالحياة، ويحزن ويتألّم عندما يرى أنّ الحياة تفنى. لأنّه، بصورة عامّة، لا أحد يريد أن يموت. كلّ واحد يخاف من الموت. لربّما، ليس لأنّنا نفكر أنّ كلّ شيء له نهاية (المؤمنون يؤمنون بالحياة بعد الموت)، ولكن لأنّنا بالموت نذهب إلى مجهول: فماذا بعد؟ مع أنّ يسوع علَّمنا دائمًا عن الحياة والحياة الأبديّة، وأنّ الحياة لا تنتهي بموتنا، بل تتبدَّل حين ندخل الأبديّة. في نظر يسوع، حياة الإنسان واحدة، ولكن لها مرحلتان: المرحلة الأرضيّة الزمنيّة، والمرحلة السماويّة الأبديّة. ويجب الملاحظة أنّ لفظة «أبديّة» لا تعني فقط «ما بعد الزمن، واللا نهاية»، بل تعني أيضًا «حياة كاملة، مليئة فائضة».

إحدى أبلغ العبارات المليئة بالمعنى، والتي تلخِّص كلّ الكتاب المقدّس، هي كلمة يسوع في حديثه مع نيقوديمس: «إِنَّ اللهَ أَحَبَّ العَالَمَ حَتَّى إِنَّهُ جَادَ بِابنِهِ الوَحِيدِ لِكَي لَا يَهلِكَ كُلُّ مَن يُؤمِنُ بِهِ، بَل تَكُونُ لَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦). سوف يكرِّر يسوع المعنى نفسه، في نهاية حياته الزمنيّة، في صلاته المعبِّرة إلى الآب حيث قال: «بِمَا أَولَيْتَهُ مِن سُلطَانٍ عَلَى جَمِيعِ البَشَرِ لِيَهَبَ الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ وَهَبْتَهُم لَهُ. وَالحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ هِيَ أَن يَعرِفُوكَ أَنتَ الإِلَهَ الحَقَّ وَحدَكَ، وَيَعرِفُوا

الَّذِي أَرسَلتَهُ يَسُوعَ المَسِيحَ» (يوحنا ١٧: ٢-٣). هل يمكن أن يطلب الإنسان شيئًا أكثر من هذا، أن يعرف الله في صميم نفسه، وأن يراه ويتذوَّقه ويحبَّه بكلّ كيانه، وبصورة كلِّيَّة غامرة، ثابتة ونهائيّة ودائمة؟ هل يمكن أن توجد سعادة أكبر من العيش إلى الأبد مع الله وفي الله؟ هذا ما يطلبه يسوع من الآب لتلاميذه، وهذا هو الفردوس الحقيقيّ. ولا يطلب ذلك لنخبة مختارة فقط، بل لكلّ واحد ، للجميع.

وحتى يجعل هذه الحقيقة أقرب إلى فهم سامعيه، وليزيدهم رغبة بالرغم من الخيرات الأرضيّة الفانية، استخدم يسوع أجمل المشاهد في الحياة البشريّة، مثل: الوليمة، والعرس، والموسيقى والغناء والرقص والبيت والمدينة والعائلة... هي صور ومشاهد في الحياة العاديّة لكل شخص في حاجاته وعلاقاته، على الصعيد الفرديّ والاجتماعيّ. وقد أكّد يسوع أنّ هذه العبارات ليست فقط رموزًا أو مجازًا، بل هي واقع حقيقيّ، ولكن في بيئة سماويّة روحيّة وصوفيّة، وهي دائمًا حقيقيّة وواقعيّة. شهد كاتب سفر الرؤيا قال: «سَمِعْتُ مِثلَ صَوتِ جَمعٍ كَثِيرٍ... يَقُولُونَ: هَلِّلُويَا... حَانَ عُرسُ الحَمَلِ وَعَرُوسُهُ قَد تَزَيَّنَتْ» (رؤيا ١٩: ٦-٧). هو عرس المسيح الإلهيّ والكنيسة عروسه. يسوع وعد تلاميذه أن يجلسوا معه إلى المائدة في ملكوته: «أَنَا أُوصِي لَكُم بِالمَلَكُوتِ كَمَا أَوصَى لِي بِهِ أَبِي، فَتَشرَبُونَ وَتَأكُلُونَ عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي» (لوقا ٢٢: ٢٩- ٣٠). هو نفسه «سيجلسهم



إلى المائدة ويقوم ليخدمهم» (لوقا ١٢: ٣٧). وينطبق هذا الكلام على «المائدة الإفخارستية»، حيث يسوع نفسه هو الحُبُّ في الحياة الأبديّة الروحيّة (والإفخارستيا هي واقع مُسبَقٌ للمائدة الروحيّة السماويّة). قال يسوع: «أَنَا خُبزُ الحَيَاةِ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ. مَن أَكَلَ مِن هَذَا الخُبزِ يَحيَا إِلَى الأَبَدِ» (يوحنا ٦: ٥١). هو نفسه شراب الحياة الأبديّة، كما أُوحِيَ لكاتب سفر الرؤيا: وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!». وَقَالَ لِي: «اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ». ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا. مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا» (رؤيا ٢١: ٥-٧).

### ٣) خبرة الرسل وبشارتهم

كما قلنا أعلاه، استخدم القديس بولس أيضًا مرّة واحدة لفظة «الفردوس»، ليصف خبرته الصوفيّة بعد ارتداده: «أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. وَأَعْرِفُ هذَا الإِنْسَانَ: أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا» (٢ قرنتس ١٢: ٢-٣). معنى هذه الكلمات سيُكشَف

لنا فقط في ما بعد الحياة، وبرؤية الله فقط سيزال الحجاب عن أعيننا. ويشجّعنا بولس نفسه لكي نبقى ثابتين في الرجاء، لأنّ الله نفسه وعدنا ببهاء الحياة الأبديّة وأفراحها، كما كتب إلى أهل قورنتس: «مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى بَالِ إِنسَانٍ، أَعَدَّ اللهُ لِمُحِبِّيهِ» (١ قورنتس ٢: ٩). في الرسالة إلى أهل روما، وصف القديس بولس الفردوس مستخدمًا خاصة لفظة «المجد»، قال: «بِهِ أَيضًا لَنَا بِالإِيمَانِ أَن نَدنُوَ مِن هَذِهِ النِّعمَةِ الَّتِي فِيهَا نَحنُ مَوجُودُونَ وَبِهَا نَفتَخِرُ، ثَابِتِينَ فِي رَجَاءِ مَجدِ اللهِ» (روما ٥: ٢). وشجَّع أهل قورنتس حتى لا ييأسوا ولا يتركوا المحن والشدائد تتغلّب عليهم، لأنّ المحن والشدائد عابرة وخفيفة، وأمّا المجد الذي يليها فهو أبديّ لا قياس له (راجع ٢ قورنتس ٤: ١٧). قال إلى أهل أفسس ما هو أجمل واسمى: أسأل الله «أَن يُنِيرَ بَصَائِرَ قُلُوبِكُم لِتُدرِكُوا مَا هُوَ الرَّجَاءُ الَّذِي تَنطَوِي عَلَيهِ دَعوَتُهُ، وَمَا هِيَ سَعَةُ الـمَجدِ فِي مِيرَاثِهِ مَعَ القِدِّيسِينَ» (أفسس ١: ١٨). وما هو المجد؟ إنه يقوم بأن نكون «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بطرس ١: ٤)

تكلّم القديس بطرس أيضًا في رسالتيه على الفردوس والحياة الأبديّة. دعا المسيحيّين المضطَهَدين من أجل اسم يسوع أن ينظُروا إلى السماء، حيث رأى الرسل يسوع صاعدًا (راجع أعمال الرسل ١: ٩-١١). وحثّهم على الثبات في رجائهم: «وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ



يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ لَكُم فِي السَّمَاوَاتِ، أَنْتُمُ الَّذِينَ تَحرُسُكُم قُوَّةُ اللهِ، بِالإِيمَانِ، لِخَلاَصٍ سَيُعْلَنُ فِي اليَومِ الأَخِيرِ (١بطرس ١: ٣-٥). «لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى» و«لِخَلاَصٍ» وحياة في السماء مع الله: هذا هو الواقع العجيب الذي ينتظرنا. لنملأ أنفسنا إذًا بالشجاعة والقوّة، لمواجهة الاضطهادات من أجل اسم يسوع، بل «كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهِجِينَ» (١ بطرس ٤: ١٣). من السهل أن نرى في هذه العبارات صدًى أمينًا لصوت المسيح، عندما بشَّرنا بالتطويبات في العظة على الجبل: «طُوبَى لكم إِنْ شَتَمُوكُم وَاضطَهَدُوكُم وَقَالُوا كُلَّ كَلِمَةِ سوءٍ عَلَيكُم كَاذِبِينَ، مِن أَجلِ اسمِي. افرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لِأَنَّ أَجرَكُم فِي السَّمَاوَاتِ عَظِيمٌ» (متى ٥: ١١-١٢).

### ٤) السماء اتّحاد مع الله وتشبُّه بيسوع المسيح

لو أردنا وحاولنا أن نضع عرضًا ملخّصًا للحياة في السماء مع الله، – وهو في حدّ ذاته أمر «مستحيل» – يمكن أن نلخّصها في بعض الأوجه والعلاقات: الوجه الأوّل، وهو الأساس ويشمل كلّ الأوجه الأخرى، هو الوجه الثالوثيّ، أي أن نكون مع الله، والحياة مع الله وفي الله وبه. عندما يقول المسيحي الله، فهو يعني دائمًا الله المثلث الأقانيم، الآب والابن والروح القدس. هو الله الحيّ، كما علّمنا يسوع المسيح، هو

الله محبّة (راجع ١يوحنا ٤: ٨ و١٦). حياة الله هي عطاء متبادل، وحبٌّ متبادل بين الأقانيم الثلاثة، في حركة وديناميّة أبديّة. فالآب يحبّ الابن (راجع يوحنا ١٧: ٢٨)، والابن يحبُّ الآب (راجع يوحنا ١٤: ٣١)، والروح القدس هو الحبّ المتبادل بين الآب والابن، وهو الحبُّ المفاض في قلوبنا (راجع روما ٥: ٥).

الطوباويّون في السماء ليسوا فقط متفرّجين مُعجَبين بحُبّ الله الثالوث القدّوس، بل هم مندمجون في صميم هذا الحبّ ومغمورون في محيط هذا الحبّ الإلهيّ المتبادل. أصبحوا مشاركين في الطبيعة الإلهيّة بالمعموديّة، كما قال القديس بطرس (راجع ٢ بطرس ١: ٤). الطوباويون في السماء يشاركون في هذه الحركة الثالوثيّة المتبادلة، وهم مشمولون بديناميّة الحبّ الإلهيّ الأبديّة. الله هو «كُلٌّ في الكُلّ» (١ قورنتس ١٥: ٢٨؛ قولوسي ٣: ١١)، كذلك يحيى في الله. الحبّ الإلهيّ الثالوثيّ حبٌّ لا يكلّ، ولا يتوقّف، بل يجعل دائمًا «كُلَّ شَيءٍ جَدِيدًا» (رؤيا ٢١: ٥). بهذا يتحقّق ما وعد به يسوع يومًا المرأة السامريّة التي طلبت منه ماء الحياة، والتي أجابها يسوع: «مَن يَشرَبْ مِن هَذَا المَاءِ الَّذِي أُعطِيهِ أَنَا لَن يَعطَشَ أَبَدًا: بَل المَاءُ الَّذِي أُعطِيهِ يُصبِحُ فِيهِ يَنبُوعَ مَاءٍ يَتَفَجَّرُ لِلحَيَاةِ الأَبَدِيّةِ» (يوحنا ٤: ١٤). مثل السَّيل الجارف، حُبُّ الثالوث يغمر قلبَ القدّيسين. هو الماء الحيّ الذي يمنحه الروح القدس، كما قال يسوع في يوم عيد العرش الكبير: «مِنهُ تَتَدَفَّقُ أَنهَارُ مَاءٍ حَيّ» ويضيف الإنجيلي



مفسِّرًا: «قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوح...» (يوحنا ٧: ٣٨-٩٣).

في هذه الرؤية للوجه الثالوثيّ للسماء، يبرز وجه المسيح، بمعنى أنَّ كلّ قدّيس يعكس وجه المسيح، إذ يصبح شبيهًا به. أكَّد القديس بولس هذا التشبُّه المستمرّ بالمسيح في كتابته إلى أهل قورنتس: «[١٨]وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الَّذِي هُوَ رُوحٌ» (٢ قورنتس ٣: ١٨). وقال بصورة أوضح، في مكان آخر: «وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ» (١ قورنتس ١٥: ٤٩). نرى في هاتين الآيتين توضيح الصفات الأساسيّة للإنسان المخلوق بالنسبة إلى خالقه، اي إنّه على صورة الله وشبَهِه. لمّا خلق الله الإنسان قال: «لِنَصنَعْ الإِنسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَمِثَالِنَا» (تكوين ١: ٢٦). بحسب تفسير الآباء، الصورة هي الوسم الذي لا يمحى في الإنسان، والشَّبَه هو تعاون من قبل الإنسان الذي يحاول أن يتقرَّب دائمًا أكثر إلى كماله، بمسيرة لا نهاية لها أبدًا، مسيرة «من مجد إلى مجد» . جاء في سفر الرؤيا: «القِدّيسُ فَلْيَتَقَدَّسْ أَيضًا» (رؤيا ٢٢: ١١).

هذا الاتّحاد بالله يُسمَّى أيضًا رؤية الله أو «الرؤية السعيدة». كلّ مُحِبٍّ يرغب في حبِّ محبوبه، ورؤيته تعني السعادة بحضوره، وأن يكون معه. عندما نقول «رأى» نقول هناك اثنان، راءٍ ومَرئِيّ، فالرؤية تدلّ على تمييز بين اثنين، ولكنَّها

تدلُّ أيضًا على الوحدة بين الاثنين. القديس بولس كشف لنا الحجاب عن هذا الواقع العجيب، لمّا كتب إلى أهل قورنتس الذين كانوا يرغبون في معرفة الحياة الأبديّة، قال: «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» (١ قورنتس ١٣: ١٢). «رأى» هنا يعني «عرف». وهي معرفة ليست فقط ذهنيّة بل هي هبة حبٍّ متبادلة، هي علاقة شخصيّة صادقة. القدّيس يوحنا أيضًا، رسول المحبّة، قال كلمات مشابهة، عندما وصف الفرق بين خبرتنا الحاليّة في الأرض، وخبرتنا المستقبلة في السماء. قال: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يوحنا ٣: ٢).

رؤية الله هي الحياة الأبديّة، وفي الوقت نفسه هي الراحة الأبديّة للمختارين. هي الحياة الأبديّة لأنّ مشاهدة الله ستكون دائمًا جديدة، مثل اكتشاف دائمًا جديد، لأنّ الله لا متناه، ومن ثمَّ لا يمكن استنفاده بمعرفتنا وحبّنا. وهو أيضًا راحة أبديّة لأنَّ وجه الله هو ينبوع سلام أبديّ وعزاء دائم.

### ٥) السماء هي أيضًا اتّحاد مع القريب

وجه آخر للسماء هو «الشركة» مع كلّ سكّان السماء المخلوقين، أعني مع الملائكة والقديسين. الله وحده يعرف من



هم المخلَّصون المبارَكون وعددهم. في سفر الرؤيا، جاء الكلام على «ربوات وربوات الملائكة» (رؤيا ٥: ١١) وعلى «جُمهُورٍ كَبِيرٍ لَا يَقدِرُ أَحَدٌ أَن يُحصِيَهُ، مِن كُلِّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَشَعبٍ وَلِسَانٍ» (رؤيا ٧: ٩). كذلك الرسالة إلى العبرانيّين، عند الكلام على الشركة بين كنيسة الأرض وكنيسة السماء، تتكلّم على الطوباويّين السعيدين: «لَقَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ» (عبرانيين ١٢: ٢٢-٢٤). كلّ واحد بمفرده، والجميع جوقة واحدة، بصوت واحد وقلب واحد ونفس واحدة، يمجّدون الله الخالق والمسيح المخلّص والروح القدس. كلُّهم في انسجام كامل مع الآخرين، كلّ واحد يحبّ الآخر مثل نفسه، كلّ واحد يرى الله في الآخر، كلّ واحد يحبّ قريبه، على مثال حبّ يسوع له. لا أثر لأنانية ولا حسد يمسّ القلب، بل الجميع يريدون الخير للجميع. الكلُّ يتشارك مع الكلّ. كلّ واحدٌ سعيد بكمال الآخر، بشخصيَّته المتميّزة، بعلاقته الخاصّة مع الثالوث القدّوس. كلُّهم يجلسون إلى مائدة الحمل، كما وعد يسوع الرسل: «سَتَأْكُلُونَ وَتَشرَبُونَ عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي» (لوقا ٢٢: ٢٩). «طُوبَى لِلمَدعُوِّينَ إِلَى وَلِيمَةِ عُرسِ الحَمَلِ» (رؤيا ١٩: ٩).

الفنان العظيم ميكيل أنجيلو(Michelangelo) عبَّر عن سعادة السماء بصورة مدهشة، في جداريّة «الدينونة العامّة» في «الكابيلا سيستينا» (Capella Sixtina)في الفاتيكان: الطوباويُّون، كلُّهم في عيد، ينظرون بعضُهم إلى بعض وجهًا إلى وجه، وكلُّهم يحدِّقون بنظرهم إلى المسيح ويتمتّعون بمشاهدة وجهه البهيّ إلى الأبد.

**٦) السماء هي تحقيق الذات لكلّ شخص وبلوغ كماله**

في السماء، بُعد المشاركة لا يخفي ولا يلغي البُعد الفرديّ الشخصيّ. الشخص بما هو، وبميزاته الفرديّة الشخصيّة، وبعلاقته الخاصّة مع الله، كلُّ هذا «يَخلُص». كلّ واحد يرى رؤيته الشخصيّة، الله الحيّ «وجهًا لوجه»، والواحد مع الآخر، كما يقول بولس الرسول: «فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآة، فِي لُغْز، لكِنْ حِينَئِذ وَجْهًا لِوَجْه. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَة، لكِنَّ حِينَئِذ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» (١قورنتس ١٣: ١٢). ونلاحظ في هذه الآية، كيف انتقل القديس بولس من صيغة الجمع «نحن» إلى صيغة المفرد «انا».

حفظ التقليد المسيحيّ معاني الأبديّة هذه عن طريق مختلف الفنون. ففي رسومات مريم البتول، والرسل والقدّيسين والقدّيسات، يبدو رأس الشخص محاطًا بهالة من نور، مثل الهالة البيضاء التي تحيط بالبدر. تدلّ الهالة في الرسومات



على النور الخاصّ بالقدّيس أو القدّيسة. هي إكليل المجد، هي علامة أمانته الكاملة للمسيح في أثناء حياته على الأرض. وفي الوقت نفسه تدلّ على المكافأة الخاصّة التي منحها الله للمؤمنين، كما أكَّد القدّيس يوحنا في سفر الرؤيا: «مَن انتَصَرَ وَرِثَ هَذِهِ الخَيرَاتِ. أَنَا أَكُونُ إِلَهَهُ وَهُوَ يَكُونُ ابنِي» (رؤيا ٢١: ٧). كلُّ مختار يُعطَى اسمًا جديدًا، يعطيه إيّاه الله، كما جاء في سفر الرؤيا: «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الْمَنِّ الْمُخْفَى، وَأُعْطِيهِ حَصَاةً بَيْضَاءَ، وَعَلَى الْحَصَاةِ اسْمٌ جَدِيدٌ مَكْتُوبٌ لاَ يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرُ الَّذِي يَأْخُذُ» (رؤيا ٢: ١٧). هذا يبيِّن علاقة مميَّزة لكلّ طوباويٍّ مع الله. كلّ طوباويٍّ يضيء بنور خاصّ، متَّصل بالينبوع الإلهيّ. كلّ واحد له مكانه، بحسب ما قال يسوع «فِي بَيتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ» (يوحنا ١٤: ٢). والآبُ وحده يعرف كلّ واحد ومنزله. هذا ما عناه يسوع لمّا أجاب على طلب الرسولين يعقوب ويوحنا: «أَن تَجلِسَا عَن يَمِينِي أَو شِمَالِي فَلَيسَ لِي أَن أُعطِيَهُ: هُوَ لِمَن أُعِدَّ لَهُم مِن قِبَلِ أَبِي» (متى ٢٠: ٢٣). حدَّد التقليد المسيحيّ دائمًا، وبصورة ثابتة، لمريم العذراء المنزلةَ الأولى والأقرب إلى ابنها يسوع، بسبب دورها الفريد في خطّة الخلاص الإلهيّة لفداء البشريّة. ولهذا سُمِّيَتْ بحَقّ «ملكة الملائكة والقدّيسين». حدَّد يسوع أيضًا منازل الرسل الخاصّة، الذين سيجلسون «على اثني عشر عرشًا ليدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر» (لوقا ٢٢: ٣٠).

**٧) هل السماء مكان؟**

طبيعتنا البشريّة، لكونها مركَّبًا من نفس وجسد، مرتبطة بالزمان والمكان. كذلك فكرنا وخيالنا، مرتبطان بالمكان والزمان. ولهذا عندما نفكّر في الله وفي السماء، نتصوَّر بصورة عفويّة أنّ السماء مكان فوق. ويسوع المسيح الذي صار إنسانًا مثلنا، ما عدا الخطيئة، اراد أن يشاركنا هو أيضًا في طريقة تفكيرنا وتعبيرنا، فاستخدم عباراتنا في إطار الزمان والمكان. قال مثلًا لنيقوديمس، متكلِّمًا عن ذاته وعن رسالته الخاصة: «لَم يَصعَدْ أحَدٌ إلَى السَّمَاءِ إلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، أي ابنُ الإنسانِ» (يوحنا ٣: ١٣). فقد تكلَّم على السماء كمكان. كذلك، في كلامه لتلاميذه الذين تذمَّروا عليه لمّا كلَّمهم على خبز الحياة، قال: «أنَا الخُبزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ» (يوحنا ٦: ٥١). وقالَ أيضًا: «كَيفَ لَو رَأَيتُم ابْنَ الإنسَانِ يَصعَدُ حَيثُ كَانَ أوَّلًا؟» (يوحنا ٦: ٦٢). يقول يسوع إنَّ السماء وطنه. وبيَّن ذلك بمشهد واضح ومرئيٍّ، شاهده رسله، عندما صعد إلى السماء من على قِمّة جبل الزيتون، وهم ناظرون: «انفَصَلَ عَن أنظَارِهِم وَرُفِعَ إلَى السَّمَاءِ» (لوقا ٢٤: ٥١؛ راجع أعمال الرسل ١: ١). قال القديس بولس، من جهته، متكلِّمًا على صعود يسوع: «مَاذَا يَعنَي أَنَّهُ صَعِدَ إلَّا أَنَّهُ نَزِلَ أَوَّلًا هُنَا عَلَى الأَرضِ؟» (أفسس ٤: ٩).

واستخدم يسوع عبارات أخرى أيَّضا ظهر فيها أنّ



السماء هي مثل مكان خاصّ. لمَّا كان مع الرسل في العلّيّة للعشاء الأخير، وأراد أن يُعزِّيَهم، قال لهم إنّه لن يتركهم أبدًا وأنّه سيبقى معهم دائمًا، بل سينقلهم معه إلى حيث هو، ليكونوا معه إلى الأبد. قال لهم حرفيًّا: «لَا تضطَرِبْ قُلُوبُكُم. آمِنُوا بالله وَآمِنُوا بِي أيضًا. فِي بيتَ أَبي مَنَازِلُ كَثيرَةٌ. وَلَو لَم تَكُنْ لَمَا قُلْتُ لَكُم: أنَا ذَاهِبٌ لِأُعِدَّ لَكُم مَكَانًا. إذَا ذَهَبْتُ وَأعدَدْتُ لَكُم مَكَانًا سَآتِي مِن جَدِيدٍ وَآخُذُكُم مَعِي، لِأَنَّهُ حَيثُ أكُونُ أنَا هَنَاكَ أَيضًا أَنتُم تَكُونُونَ. وَحَيثُ أنَا مَاضٍ، تَعرِفُونَ الطَّرِيقَ» (يوحنا ١٤: ١–٤).

من الواضح أنَّ يسوع يتكيَّف مع عقلية الناس ويستخدم اللغة والقوالب الذهنيّة التي يستخدمونها. الفكرة الأساسيّة هي أنَّ يسوع لا يترك تلاميذه وحدهم، ولكنّه يبقى معهم، وهم سيكونون معه إلى الأبد. هذه هي السماء: أن نكون مع الله، ومع يسوع ومع الروح القدس. الله نفسه هو السماء. السماء حالة حياة، حالة سعادة، هي حياة وافرة وأبديّة. وليست مرتبطة بالفضاء الأعلى أو الأسفل، ولا بأيّ مكان. لأنّ الله القدير واللامتناهي لا يحُدُّه مكان. حيث الله هناك السماء.

في الواقع، ما يقوله يسوع هو أنَّه يمكننا أن نبدأ سماءنا هنا على الأرض. يمكننا هنا أن نبدأ فنتذوّق السماء، وأن نعيش الحياة الأبديّة، منذ الآن وهنا على الأرض. في العظة في مجمع كفرناحوم على خبز الحياة، وجَّه يسوع كلامه إلى سامعيه في

الحاضر وفي المستقبل. بدأ فطَمْأَنَهم إذ قال لهم: «أَنَا هُوَ خُبزُ الحَيَاةِ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِن هَذَا الخُبزِ يَحيَا إِلَى الأَبَدِ، وَالخُبزُ الَّذِي أُعطِيهِ أَنَا هُوَ جَسَدِي لِحَيَاة العَالَم» (يوحنا ٦: ٥١). وقال أيضًا: «مَنْ أَكَلَ جَسَدِي وَشَرِبَ دَمِي فَلَهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيّةُ، وَأَنَا أُقِيمُهُ في اليَومِ الأَخِيرِ» (يوحنا ٦: ٥٤). فهم القديس بولس تمامَ الفهم هذَا التعليم، ولهذا كتب إلى أهل قولوسي قال لهم إنّهم يشاركون منذ الآن المسيح القائم والممجَّد في حياته الأبديّة: «دُفِنْتُم مَعَهُ في المَعمُوديَّةِ فَقُمْتُم مَعَهُ أيضًا بِالإِيمَانِ بِقُدرَةِ اللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِن بَينِ الأَموَاتِ» (قولوسي ٢: ١٢)». ثم أضاف يحثُّهم حثًّا شديدًا مشيرًا إلى السماء: «بِمَا أَنّكم قُمْتُم مَعَ المَسِيحِ فَاسعَوْا إِلَى الأُمُورِ الَّتِي فِي العُلَى، حَيثُ المَسِيحُ جَالِسٌ عَلَى يَمِينِ الله» (قولسي ٣: ١).

## ٨) الرغبة في السماء

كان لدى بعض القدّيسين إحساس عميق بحقيقة السماء ولهذا أبدَوا رغبةً شديدة في البلوغ إليها. نذكر في ما يلي ثلاثة أمثلة فقط:

**القديس أغسطينس** قال: «هناك نستريح ونرى، نرى ونحِبّ، نحِبُّ ونسبِّح» (مدينة الله، جزء ٢٢، ٣٠، ٥).

**القديسة تريزا دي أفيلا** قالت: «لا تدَعِي شيئًا يُدخِل الاضطراب في نفسك، لا تدَعِي شيئًا يخيفك. كلّ شيء فانٍ،



الله وحده لا يتبدَّل. بالصبر تنالين كلّ شيء. من كان الله معه، لا ينقصه شيء. الله وحده يكفي. فلتكُنْ رغبتك في أن ترَيْ الله، وخافي شيئًا واحدًا: أن تفقديه. وليكُنْ عذابك في أنّك لا تمتلكينه، وليكُنْ فرحك في كلّ شيء يقرِّبك منه. وستعيشين في سلام كبير» (رسالة إلى الراهبة ماريا باتيستا، رئيسة دير فالادوليد، ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٥٧٦).

**القديس بولس** قال: «[٧]مَا كَانَ لِي رِبْحًا، هذَا حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. [٨]بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، [٩]وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ بِرِّي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ مِنَ الإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. [١٠]لأَعْرِفَهُ، وَأَعرِفَ قُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، [١١]لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ. [١٢]لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ. [١٣]أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ، [١٤]أَسْعَى إِلَى الغَايَةِ لِلحُصُولِ عَلَى المُكَافَأَةِ الَّتِي يَدعُونَا اللهُ إِلَيهَا مِن عَلُ لِنَنَالَهَا في الْمَسِيحِ يَسُوعَ. [١٥]وَعَلَينَا نَحنُ الكَامِلِينَ جَمِيعًا أَن نَشعُرَ هَذَا الشُّعُورَ. وَإِذَا شَعَرْتُم شُعُورًا آخَرَ فَإِنَّ اللهَ سَيَكشِفُ لَكُم عَن ذَلِكَ أَيْضًا. [١٦] فَلْنُلازِمْ خَطَّ سَيرِنَا حَيثُ بَلَغْنَا» (فيلبي ٣: ٧–١٦).

## الفهرس


| | |
|---|---|
| الفصل الأول: قيامة الموتى | ٣ |
| الفصل الثاني: المطهر | ٢٣ |
| الفصل الثالث: جهنّم | ٣٩ |
| الفصل الرابع: السماء | ٦٢ |